
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
مدونة ابو عبدو
أبو عبدو البغل
صرختي
محمد الشلاح


صرختي


صرختي

محمد الشلاح


الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0761-8

توزيع



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المؤلف

- ولد في دمشق عام 1946. سوري النشأة ولبناني الجنسية.
- أتم دراسته الثانوية في مدرسة برمانا العالية في لبنان.
- فرد من أفراد عائلة اقتصادية عريقة منذ قرن ونصف توارثاً مـــن جيـــل الأجداد إلى جيل الآباء وصولاً إلى جيل الأبناء والأحفاد.
- في عام 1969.
- دخل معترك الحياة العملية من خلال مؤسسة والده المرحوم بدر الـــدين الشلاّح شهبندر تجار دمشق ورئيس غرفة تجارة دمشق من عـــام 1972 حتى عام 1992.
- له من الأشقاء ثلاث: الدكتور راتب الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشـــق من عام 1992 حتى عام 2008. رئيس مجلس إدارة بنك سورية والمهجر. الدكتور سليم الشلاّح: رجل أعمال ما بين دمشق وبيروت. الدكتور غسان الشلاّح: رجل أعمال ما بين أبو ظبـــي والقاهرة.
- له من الأبناء ثلاث: زكي وبشر وخالد. يمارسون الأعمال الحرة ما بين دمشق وبيروت ودبـــي وأثيوبيا.
- صدر للمؤلف كتابه الأول "جنى الرضا" عام 1999 عـــن دار طـــلاس للطباعة والنشر.

هذا الكتاب:



يتجول المؤلف في هذا الكتاب ثلاث جولات ليكتشف القارئ عـــالمين مختلفين:

عالم مال وأعمال.

وعالم مشاعر وآمال.

الجولة الأولى: سيرة ذاتية، مرحلة دراسية، حياة عملية.

الجولة الثانية: خواطر من أحداث واقعية، آراء في مقالات شخصية.

الجولة الثالثة: كتابات شعرية تطفو على أبياتها مشاعر حقيقية.

رجال أعمال: يحملون أصدق المشاعر الإنسانية.

رجال أعمال: كائنات بشرية، ينفعلون ويتفاعلون.

رجال أعمال: آمنوا بالشفافية، يؤثرون ويتأثرون.

الدار العربية للعلوم ناشرون

سيرة ذاتية، مرحلة دراسية، حياة عملية

إهداء

إلى أعزّ روحين على قلبي، والدي ووالدتي

تغمدهم الله برحمته.

إلى أشقائي الأحباء

الدكتور راتب والدكتور سليم والدكتور غسان الشلاّح

والذين أحببتهم أكثر من حبّي لذاتي.

إلى شقيقاتي الغاليات.

إلى زوجتي الغالية، الحبيبة والرفيقة والصديقة.

إلى أبنائي الأعزاء الذين بادلوني الحب أضعافاً.

إلى كل رجل أعمال شريف في الوطن العربي.

مُقـــدِّمـــة

يعلو صراخنا حين يزداد وجعنا

يعلو صراخنا حين يشتد ألمنا

يعلو صراخنا حين تموت مشاعرنا

صراخنا بات حشرجة في خناجرنا

فقدنا ذاتنا واختل توازننا

صمٌّ، بكم، عميٌّ، لا ندري ما حولنا

أما آن العودة إلى وعينا ورشدنا؟

محمد الشلاّح

رسالة إلى والدي

عزيزي الغالي بدر الشام... بدر الدين الشلاّح:

عزيزي أبو راتب:

أفتقدك كثيراً يا حبيبـــي أنت وكل من عرفك...

أيها الإنسان العظيم الذي ما زلت ساكناً وحياً في قلوبنا الـــتي تنـــبض بعطائك الدافق.

مآذن الجوامع التي شيدتها ستبقى شاهدة على سيرتك العظيمة.

أيها الحبيب الغالي يا بدر العائلة الذي غاب، لقد خلّفت فراغاً هائلاً لا يعوض في حياة أسرتك وفي نفوس إخوانك وأصدقائك وجميع عارفيـــك.. فقد كنت ملء السمع والبصر وإني والله لا أتنكر مجلساً مـــن مجالســـك إلا ويعظم في عيني الجلل بفقدك...

في جنة الخلد يا أعز الناس، اختارك الله إلى جواره حبيباً وعزيزاً حيـــث اصطفاك...

الطربوش الأحمر هدأ واستكان حزناً على رأس صاحبه.

الوردة الدمشقية الحمراء تبكي وتفتقد معطف صاحبها الذي أحبها وأبى ولو لمرة واحدة أن يتركها أو يتخلى عنها.

أما دمشق أيها الفقيد الغالي ويا ابنها البار فكم هي حزينة لغيابك وكم كنت وفياً لها.

أعطتك الأصالة وأعطيتها الحب والعناية.

دمشق القديمة تناديك لأنك كنت وفياً لها، دافعت عن كل ركن من أركانها وكل زاوية من زوايا بيوتها العربية العريقة معارضاً ومدافعاً عن بقائها لا يطاليها الهدم.

أما غوطتها الغنّاء فدمعتها لن تجف لأنك كنت أول من أحياها بالمزارع التي شيدتها، وكل شجرة تبكي غياب زارعها، والشجر كله يدعو لك ويردد ما كنت تقوله لنا كل شجرة تدعو ربها (اللهم اغفر لغارسي).

ما أعظمك أيها الحبيب العظيم...

وما أعظم وفائك لوالدك رحمه الله، أبيت أن لا تكون إلا وفياً له بعد غيابك حيث أوصيتنا أن نواريك إلى جانبه في القبر الذي ضمّ رفاته...

نم قرير العين يا أبا راتب وارقد في سلام.

لنا العزاء الدائم وعليك الرحمة والغفران.

إبنك البار

الكتابة

أبدأ وبكل قلب منفتح قائلاً: ما هي الكتابة؟؟؟

أهي هواية،

أهي متعة،

أهي ممارسة أم هي حرفة.

أقول: الكتابة فن تمتع كل من يمارسها ومثلها كمثل أنواع الفنون الأخرى سواء كانت في مجال الموسيقى أو التمثيل أو الرقص.

والممتع في عالم الكتابة بأنه عالماً مفتوحاً، يمكن أي إنسان أن يدخل هذا العالم، وليس هناك أي خطر أو منع أو خط أحمر، وقد قرأت لكثير من الناس كتبوا ولكن لم يمارسوا الكتابة ممارسة كانت بالنسبة لهم مصدر رزق أو عيش.

قرأت لكثير من السياسيين وقرأت للعديد من رجال الأعمال الذين كتبوا سيرهم الذاتية لتكون هذه السيرة بصمة حيّة في هذه الحياة.

وقد يتساءل البعض: هل ما زال هناك من يقرأ؟؟ وهل يبقى الكتاب الرفيق الدائم أم بات الصديق النائم.

أقول لهؤلاء: الكتابة متعة الإدمان، ولطالما هناك من يكتب هناك من يقرأ وكل واحد بحاجة إلى الآخر، حاجة الطفل إلى أمه والمريض إلى طبيبه، والزوج إلى زوجته.

وأذكر هنا إنساناً غالياً على قلبي وهو والدي المرحوم بدر الدين الشلاح طيب الله ثراه والذي كتب في أواخر أيام حياته خلاصة تجاربه وقصة

عمره في ثلاثة أجزاء و(1) للتاريخ والذكرى و(2) المسيرة التجارية و(3) من حصاد الأيام وهذه الأجزاء الثلاثة تركت بصمة كبيرة في مجتمعنا السوري وعلى كافة المستويات، ولا أبالغ حين أقول بأن هناك الكثير من الأصدقاء يطلبونها من الذين سمعوا عنها، والبعض يحتفظ بها ممن قرأوها.

وكان لي كتابي الأول "جنى الرضا" والذي صدر عن دار طلاس في عام 1999 ولم يتم طرحه في الأسواق بل تم توزيعه على الأحباب والأصدقاء فقط. لقد قمت بكتابته والوالد الغالي على فراش المرض وكنت ملازماً له لثلاثة أشهر متواصلة وهبني الله هذه الفترة نعمتين، النعمة الأولى ملازمته والبقاء إلى جانبه خدمة وعناية ساعياً لأن أكون باراً له من جهة، ولأمنح نفسي كل الراحة والطمأنينة لأكون قد سعيت ووصلت إلى غايتي ألا وهي أن أُرضي ربّي من جهة ثانية.

أعود إلى الكتابة مرّة أخرى.

ما سيقرأه قارئي العزيز ليست بالسيرة الذاتية، بل هي عصارة قلب فيه كل نبض ينبض بالحب والمشاعر تجاه كل الناس. وكان لي معهم أجمل الأوقات وأحلى الأيام معايشة ومعرفة ومحاكاة، وأشعر بالامتنان لهم على محبتهم ووفائهم، فقد كانوا أهلاً لهذه المشاعر، وذلك بمبادلتهم لي هذا الدفق الكبير من الحبّ والأحاسيس.

وهنا يتساءل القارئ قائلاً: حتى الشعر يا محمد.

أجيب وبكل صدق: والله أنا لست بشاعر ولكن ما ستقرأه يا قارئي العزيز هو خفقات قلب، وعصارة مشاعر، كتبها بكل شفافية ومحبّة سواء الأشخاص أو قصائد مجردة تحكي مشاعر إنسان إذا أحب، أحب بكل الإخلاص.

ولكل قصيدة لها قصة تحكي عن ذاتها من خلال أسطرها.

أرجو من الله أن أكون كنت موفقاً فيما دوّنت وكتبت.

محمد الشلاّح

لا للسياسة

ما أحببتها ولا تعاطيت معها في يوم من الأيام.

كنت وما زلت أطالع الصحف والجرائد يومياً ولسبب واحد ووجيه وهو أن أكون على اطّلاع دائم ومعرفة مستمرة لما يجري من أحداث سواء كانت محلية أو عالمية حيث إن هناك ترابط دائم ما بين الاقتصاد والسياسة شئنا ذلك أم أبينا.

نشأنا وترعرعنا في جو اقتصادي، من خلال أسرة مارست التجارة والزراعة والصناعة توارثاً من جيل الأجداد إلى جيل الآباء وصولاً إلى الأبناء والأحفاد. ومارسنا دورنا الاقتصادي بعيدين عن أي تجاذب سياسي. دوراً اقتصادياً بحتاً، والعمل في الاقتصاد هو عمل حرّ ومستقل، عمل نظيف وشريف بعيداً عن أي تساؤل أو علامة استفهام ولا تشوبه أي شائبة. والمظلّة لهذا العمل هي القناعة الراسخة في أعماقنا بأن رجل الأعمال الناجح هو حين يثبت مقدرته بأنه في برّ الأمان على الدوام.

هناك فئة من رجال الأعمال يتّبعون أساليب ملتوية للوصول إلى غايات شخصية ومن هذه الأساليب على سبيل المثال: علاقات شراكة مع فئة سياسية أو شخصيات مصرفية للحصول على قروض بنكية ليجدوا أنفسهم فجأة في جو مفعم بالمتاعب والمشاكل حيث من الصعب عليهم الخروج والخلاص منها.

المال هو وسيلة وليس غاية أو هدف، أقول ذلك من خلال تجارب عشتها وتعايشت معها.

أعود إلى موضوع السياسة لأقول بأنها مهنة لمن ليس له مهنة، مهنـــة لا تخلو من التكاذب والتجاذب والرياء وما وصلنا إليه وما نحن عليه من ضـــياع وتخبّط وتشرذم لهو أكبر دليل على صحة ما ذكرت. السياسة عالم التجاذبات والمحسوبيات التي ليس من ورائها إلاّ الصداع والويلات والمآسي ووجع الرأس والنكبات.

النشأة

أتيت إلى هذه الحياة في 1946/5/26. و لم أكن وحيداً بقدومي إلى هذا الكون بل كان برفقتي شقيقي وتوأمي غسان.

وما أعرفه خلال ما قيل لي بأنه لم يكن في تلك الأيام مشافي وأطباء أخصائيين للولادة، بل القابلة كانت تأتي إلى الدار وبالتالي تقوم بعملية الولادة لقاء أجرٍ معين. وقد كان قدوم شقيقي غسان قبلي بنصف ساعة، وتبيّن لاحقاً وبالصدفة للولاّدة بأن هناك مولوداً آخر ألا وهو أنا.

كان ذلك في بناء المهاجرين الملاصق حالياً للقصر الجمهوري سابقاً ومن ثم انتقلت العائلة للسكن وذلك في أوائل الخمسينيات إلى البناء الحالي في شارع هنانو – جانب السفارة الرومانية. هنا ترعرعت في دار الوالد، في دور من أدوار البناء، أما باقي الأدوار فكانت مؤجرة. أذكر من العائلات التي سكنت في بناء الشلاح، عائلة الدكتور مريدن وأيضاً عائلة شوكت محاسني وكان محافظاً لمدينة درعا، وأيضاً عائلة غزال وأيضاً عائلة سهيل تقي الدين في الدور الأرضي، وأيضاً عائلة نزار دقماق تاجر السجاد المعروف وغيرهم.

وفي أواخر الستينيات خصّص المرحوم الوالد شقة في الدور الأرضي للمرحومة والدته لتكون قريبة منه وجلب لها خادمة لتقوم برعايتها. وقام أيضاً ببناء مصعداً في البناء وذلك لتسهيل طلوعها كلّما رغبت في زيارته في دارنا والذي كان في الدور الثالث.

أول مدرسة التحقت بها كانت مدرسة دوحة قاسيون في المهاجرين ولا أذكر الكثير في هذه المرحلة حيث كنت صغير السن، وبعد عامين التحقت في مدرسة طارق بن زياد وأيضاً تقع في حي المهاجرين في الجادّة الأولى على ما أذكر، وبالطبع كان برفقتي شقيقي غسان.

أذكر بأن رئيس المدرسة كان اسمه صلاح الدين القابسي، رجل طويـــل ونحيل القامة، أبيض الشعر، وكان رقيقاً في تعامله مع الطلاب. ومن الأساتذة الذين أذكرهم هم اثنان، أديب الحواصلي والأستاذ عثمان العابد.

كان أديب الحواصلي قصير القامة ولكنه كان صارماً وشرساً في تعامله معنا، وأذكر بأنه كان يقوم بضرب الطلاب بعصا غليظة وقصيرة كان يخفيها في كمّ جاكيت بدلته حتى لا يراها الطلاب وذلك للإخفاء والتمويه. وبقينا في هذه المدرسة حوالى العامين، وأذكر حتى الآن بعض رفاق الدراسة منهم عبد الرحمن تقي الدين وشقيقه، وأيضاً طريف جمعة وغيرهم.

الطفولة

جمعت المحبة بين أفراد عائلتنا، والاحترام توّج هذه العلاقة بأسمى معانيها، ترابط وتماسك يظلل ذلك رب أسرة حازم وصارم ولكن قلبه مفعماً بالحنان، وربّة منـــزل أدت دورها المطلوب بأسلوب ذكي ووقّاد في تربية أولادهـــا، عناية ودراية ورعاية وتصرفاً.

كنا ننتظر العطلة المدرسية في فصل الصيف بفارغ الصبر بغية الـــذهاب والانتقال إلى مزرعة العائلة في الغوطة. أعود بذاكرتي إلى الــوراء، إلى فتـــرة الخمسينيات من القرن الماضي مستذكراً أوقاتاً رائعة أمضـــيناها في مرحلـــة الطفولة. خلال النهار كنا نجد المتعة في اللعب واللهو سواء بالكرة أو ركوب الدراجة الهوائية. في ساحة الحوش الذي يحيط بدار ريفي، كنا نراقب الأنواع العديدة من الطيور الداجنة، الحمام والديك الرومي والطاووس والـــدجاج. كان هناك قطيع كبيرٌ من الأبقار والماعز نجد المتعة في مراقبتها وهي خارجـــة من الزريبة متوجهة إلى المرعى. كان هناك أيضاً إسطبلاً للخيول نجد المتعة في ركوب الخيل.

الدار الريفي الذي أشرت إليه كان مقراً دائماً لخالتنا وزوجها والـــذي كان وكيلاً ومشرفاً على إدارة شؤون المزرعة وعمالها في أعمـــال الفلاحـــة والسقاية. الكهرباء لم تكن متوفرة والإنارة كانت بواسطة السراج الذي يعمل على الكاز. النوم كان على الأرض، فرشات متلاصقة إلى جانـــب بعضـــها البعض. طعام الفطور والعشاء من خيرات المزرعة الطازجة، الحليب والبـــيض

والألبان والأجبان والزيتون، أما الخبز فكان من النوع المرقوق ساخناً وشهياً من التنور. مياه الشرب الباردة والعذبة كانت من بئر عربي وسط الحوش وبواسطة الكبّاس اليدوي.

لقد كانت خالتنا كالأم الحنون، في حيرة دائمة لتقدّم لنا كل الحنان والرعاية وقد حرمها الله من نعمة الإنجاب لتكون معاملتها لنا بمثابة أولادها. النوم كان باكراً في جو ريفي رائع، هواء نقي ومياه عذبة وأشجار وارفة وثمار فاكهة شهية وعديدة، الإجاص والخوخ والتفاح والمشمش والعنب.

أرى بأن مرحلة الطفولة هي أشدّ المراحل أهمية وحساسية في حياة الإنسان. هي المؤشر الذي يرسم له النجاح والفشل في المستقبل. وما وصلنا إليه من تفكك أسري وتخبّط اجتماعي وفساد أخلاقي يعود ذلك إلى طفولة غير سويّة وسوء تربية. حسن التربية لا يأتي من خلال المدرسة بل من الأسرة، فالمدرسة ليست إلا لتلقّي العلوم. التربية تكمن في التوجيه السليم وتعريف الطفل منذ الصغر الخطأ من الصواب، الحلال من الحرام، الطاعة والاحترام. ودور الأم هو المهم والأهم، والتي من خلال تربيتها تستطيع أن تجعل من أبناءها رجالاً ناجحين في المستقبل.

والتعليم ضروري وأساسي لكل طفل. فالجهل يولّد الفقر، والفقر يولّد البطالة، والبطالة هي آفة الآفات التي تجعل من أبناءنا جيلاً متمرداً وضائعاً ومتخاذلاً، وبفقدان العمل ينعدم الأمل، والأمل هي الاستمرارية يحقق الإنسان خلالها كل ما يطمح إليه. على أجيالنا أن تعرف ما تريد ومتى تريد وكيف تريد ولماذا تريد للوصول إلى امتلاك الإرادة والتي هي الأساس في أن يكون ناجحاً في خياره، صائباً في رأيه، محقاً في طلبه، حرّاً في قراره.

الطفولة هي البراءة. يجب تقديم كل الحنان والعطف لأطفالنا الذين هم فلذة أكبادنا. أن نهيئ لهم أجواء الطمأنينة والأمان، والابتعاد عن أسلوب الضرب والعنف والتأنيب وتوجيه السباب والشتائم.

موضوع مرحلة الطفولة في غاية الحساسية والذي يجب أن يكون في صلب اهتمام كل أبٍ وأمٍ، ومن أهم الأولويات التي تستحق كل الرعاية والعناية.

الترابط الأسري بين أفراد العائلة هو من أهم معوقات نجاح هذه العائلة لتكون نواة جيدة في مجتمع سليم فيه التآلف والتحابب والتآخي.

أما أسلوب التعامل بين أفراد العائلة فيجب أن يكون أسلوباً مبنياً على أسس وقواعد. الاحترام هو المهم والأهم ونقطة الارتكاز. الأخ الكبير هو القدوة لمن أصغر منه سناً لأشقائه. وهو الجدير بأن يكون له مكانة خاصة، مكانة تقدير واحترام. وهو بدوره عليه أن يكون مخزون حنان ورعاية من خلال حنو العاطفة وعذوبة الكلام مع رقّة متناهية وشفافية كاملة تجاه إخوته.

وعلى ربّ الأسرة أن لا يميّز بين أبناءه، وأن تكون معاملته مع كافة الأبناء عادلة ومتساوية.

أما الأنثى فلها مكانة خاصة، هي بحاجة دائمة إلى رعاية أشقائها الذكور وحتى إذا تزوجت فإنها تشعر بالأمان حين تجد إلى جانبها أشقاء يقدمون كل العون والدعم سواء كان ذلك مادياً أو معنوياً.

أختم بالقول بأن مرحلة الطفولة هي مرحلة رائعة وممتعة خاصة إن كانت مرحلة مفعمة بالحب والحنان والأمان والتي ستبقى راسخة وحاضرة في ذهن من عاشها في جميع جوانبها الإيجابية.

تُرسم معالم العلاقة المثالية بين الأشقاء والشقيقات انطلاقاً من مرحلة الطفولة، والعلاقة هي كالغرسة التي تزرعها، تعطيها كل العناية والاهتمام خلال فترة نموّها من سقاية وتقليم وحراثة ومبيدات زراعية لتصبح شجرة مثمرة وسليمة، تعطيك ما لذّ وطاب من الثمار الشهية والفاكهة الطيبة لتستمتع من قلبك بمذاقها الرائع، وهذه المتعة هي نتيجة تعبك وما قدمته لها من عناية ورعاية.

ولا بد لي أن أشير إلى نقطة هامة تثبت صواب وجهة نظري في موضوع الطفولة. نعاني حالياً الكثير من الأمور التي تحصل يومياً في بلادنا قاطبة. تفكك أسري والانحلال أخلاقي وشعور عدواني وتتوضح الصورة أمامنا واضحة وجلية لنجد جيلاً حاقداً، إرهابياً، لا يؤمن بالقيم الأخلاقية والمشاعر الإنسانية. جيل ضائع، الفوضى هي أمّه والضياع هو أباه، أما السطو والمخدرات والجنس فهي مبادئه، والقتل والإرهاب هي مهنته. وإذا أردنا جواباً مقنعاً لأسباب ذلك لرأينا بأن الجواب ليس بحاجة إلى تردد، سبب ذلك طفولة بائسة وتربية فاسدة. إنها غلطة الآباء والأمهات، لقد ظنوا بأن الزواج يقتصر على الجنس والإنجاب فقط، أما العناية بالطفولة والواجب في التوجيه وحسن التربية فليذهب ذلك إلى الجحيم، وبأسلوبهم الجاهل وتصرفهم الأرعن أوصلونا إلى الجحيم قولاً وفعلاً.

آمل أن أكون قد أعطيت مرحلة الطفولة حق قدرها، فإن قلبي في حسرة وهمّ وغمّ لما يجري من أحداث لا يتقبلها أي إنسان عاقل وراشد، ربما هي مقبولة لدى فئة معيّنة من الناس ألا وهي فئة المجانين، وليس هناك أي داعٍ أو سبب للاستغراب والاستهجان فإن الزمان الذي نعيشه هو زمن المجانين في مرحلة جنونية أخاف يومٍ من الأيام أن ينضم ما بقي من العقلاء منا إلى هؤلاء المجانين، أدعو الله من القلبَ أن لا يحصل وإن حصل وتم ذلك فأقول للقارئ: (على الدنيا السلام)...

مدرسة برمانا العائلية

قرر المرحوم الوالد أن يلحقنا بمدرسة برمانا العالية وكان ذلــك في عام 1957، وقد سبق لأشقّائي راتب وسليم بالالتحاق قبلنا. وذلك بأن المدرسة المذكورة هي من المدارس المشهورة في تعليمها العــالي. وقــد أسست هذه المدرسة قبل مئة وخمسين عاماً على يد مجموعة من المواطنين الإنكليز من رابطة عُرفت برابطة الــ Quaquers والــتي تعــني "دعــاة السلام".

أول عام كان صعباً للغاية، وقد كان علينا الابتعاد عن العائلة كونها مدرسة داخلية، وقد بكيت كثيراً في ذلك اليوم ولكن دون أي جــدوى. وكان لوجود شقيقي سليم وأبناء عمومي في المدرسة ذاتها تخفيفاً للشــعور بالوحشة والبعد عن العائلة، فقد التحق في المدرسة ذاتها كــل مــن أبنــاء عمومي طارق ورفيق أبناء عمي شفيق، وفايز ابن عمي رشاد، ونبيل ابــن عمي أنور، وكان مجموع أفراد عائلة الشلاّح أو الشلاّحين كما يــدعوننا ثمانية.

وجدنا بعض الصعوبة في أول عامٍ من التحاقنا، حيث كانت الدراسة في جميع المواد باللغة الإنكليزية، ولكن في الأعوام التالية ســهل علينــا الأمــر. المدرسة ما زالت قائمة حتى يومنا هذا، وبرمانا بلدة تبعد عن بيروت حــوالى الــ 25 كم، في الجبال وكانت الحرارة تصل دون الصفر في فصل الشتاء من شدّة برودة الطقس مع هطل الكثير من الثلوج.

أبنية المدرسة كانت عديدة ومنها مبنى كبير للإدارة وأيضاً بناء للتعليم الثانوي، وأيضاً بناء آخر للمكتبة وبناء للمختبرات وأيضاً أبنية للمنامة، بناء للكبار في المرحلة الثانوية وبناء آخر للمرحلة الابتدائية، وكان هناك أيضاً ملعبين لكرة القدم وملاعب لكرة السلة وأيضاً لكرة اليد مع مسبح كبير. وكانت هناك قاعة كبيرة للمحاضرات، أما يوم السبت مساء فقد كان لحضور فيلم سينما.

عُرف بناء المنامة للمرحلة الابتدائية كانت مكوّنا من طابقين ومن عدّة غرف، وكل غرفة تختلف عن مساحة الغرفة الأخرى، بعضها يتّسع لثلاثة أشخاص وأخرى إلى خمسة وأخرى أيضاً تتسع لعشرة أشخاص.

وكان لكل مبنى (عريف) ويدعى بالإنكليزية Prefect، يختاره الأستاذ ليكون مشرفاً على باقي الطلبة والرفاق، ويجب أن يكون هذا العريف ذو شخصية قوية يهابه الباقون ويحسبوا له كل الحساب، وعمل العريف ينصّب بالدرجة الأولى على النظام وحفظه، والعمل أن يكون الطلاب في أسرّهم في الثامنة مساء وأنوار جميع الغرف مطفئة وأخذت وقمت بدور العريف لاحقاً وكنت حريصاً أن أكون لطيفاً مع الجميع. وكان هذا الدور مرهقاً حيث كان لزاماً عليّ أن أدور على جميع الغرف متأكداً بأن كل طالب في سريره ولا أحد يتكلم أو يهمس مع رفيقه الذي ينام إلى جانبه. هذا العمل كان يلزم العريف أن يكون آخر من يلجأ إلى سريره بساعة وأكثر بعد رفاقه الباقين.

والمدرسة الداخلية بحد ذاتها لها حسناتها ولها سيئاتها، ومن حسناتها بأنها تجعل من الطالب إنساناً مستقلاً يعتمد على ذاته وأن يكون سيّد نفسه، أما الابتعاد عن الجو العائلي فكان أول المساوئ والذي لازمني هذا الشعور لفترات طويلة.

كان هناك فئتين من الطلبة، الفئة الداخلية والفئة الخارجية، وهذه الفئة كانت من الذين لا ينامون في المدرسة، ومعظمهم لبنانيون من بلدة برمانا ذاتها، أو من البلدات المجاورة القريبة مثل بلدة رومية وغيرها من البلدات.

شعورنا نحن الطلبة تجاه بعضنا البعض كان شعوراً رائعاً، كنّا كالإخوة تعاطفاً وتعاملاً ومعايشة.

في أيام العطل المدرسية، مثل عطلات عيد الأضحى وعيد الفطر، فنادراً ما كنا نذهب إلى دمشق لزيارة العائلة، وكنا نبقى في المدرسة تحت تعليل الوالد بأن العطلة مدّتها قصيرة، وثلاثة أيام غير كافية للذهاب والإياب مع المصاريف المترتبة على ذلك حسب قوله.

أما المراسلات وكتابة الخطابات للأهل فقد كان ذلك واجباً ولزاماً علينا، نبثّهم أشواقنا ونروي لهم عن واقعنا الدراسي ونرسل لهم العلامات التي كنا نحصل عليها بعد كل امتحان، وكان الوالد يردّ على كل خطاباتنا، بعض الأحيان كانت خطابات فيها الكثير من التوبيخ والتأنيب وخاصة في الحصول على درجات متدنية، والأخرى كانت فيها الكثير من الحنان والتشجيع وذلك في حال نيلنا الدرجات العالية بعد كل فحص.

فترة عطلة الصيف كنّا ننتظرها على أحر من الجمر وكانت تمتد إلى قرابة الثلاثة أشهر.

الطلاب الداخليين كانوا من جنسيات مختلفة، من سوريا والسعودية والعراق والأردن والبحرين وقطر والكويت ومعظمهم من كبار العائلات الميسورة والمعروفة القادرين دوّيهم على دفع أقساط المدرسة حيث إنها كانت مرتفعة مقارنة إلى المدارس الأخرى في ذلك الوقت.

من العائلات اللبنانية التي كانت، أذكر منهم إميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق وشقيق القاضي نصري لحود. وأيضاً الأشقاء فيصل وتمام سلام أبناء الرئيس صائب سلام رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، وتمام شغل نائباً في

البرلمان وهو وزير الثقافة حالياً. وأيضاً عبد الله بوحبيب الذي شغل منصب السفير اللبناني في واشنطن لسنوات عديدة. وأحمد كرامي من العائلات الطرابلسية المعروفة وابن شقيق رئيس المرحوم رشيد كرامي، وقد عمل أيضاً أحمد نائباً في البرلمان اللبناني. ومن العائلات اللبنانية التي أذكرها، أبناء عائلة الزعتري المعروفة في صيدا، وأيضاً من صيدا أبناء عائلة العلايلي وعائلة البربير وعائلة الددا وغيرهم. ومن طرابلس أبناء عائلة اليكن وكرامي وغيرهم. ومن بيروت أبناء عائلة سوبره وسلام وبخعازي وغيرهم. وأيضاً أبناء الرئيس كميل شمعون دوري وداني شمعون.

وأذكر أيضاً بعض العائلات من الدول العربية:

من سوريا: عائلة الأيوبي والباقي والقوتلي والخجا ومردم بيك والعمادي والشلاّح والسمان وبدير وعائلة حسّو من القامشلي وشاغوري من دمشق ومن الكويت، عائلة البهبهاني والغانم والصقر وأيضاً العديد من أبناء عائلة آل صباح الحاكمة.

ومن السعودية: عائلة الشربتلي وباحارث وبن لادن والعديد من عائلة آل سعود الحاكمة في المملكة.

ومن قطر: العديد من أبناء العائلة الحاكمة من آل ثاني ولا أذكر أسماءهم.

ومن البحرين: العديد من أبناء عائلة آل خليفة الحاكمة، وأذكر منهم خليفة بن خليفة والذي شغل منصب وزاري سابقاً.

وحتى يومنا هذا، فإن تواصلي ما زال قائماً مع الكثير من رفاق الدراسة الذين ذكرهم وهذا شعور رائع ليبقى قائماً بعد عشرين وثلاثين عاماً مضت.

تركت مدرسة برمانا العالية بعد سبع سنوات وكنت في صف الثالث ثانوي، والتحقت في مدرسة ثانوية الروضة الكائنة في شارع فردان لعام واحد

ثم انتقلت طالباً داخلياً في مدرسة الشوف العالية في بلدة بعقلين لثلاثة أعوام نلت بعدها الشهادة الثانوية. وكان لي العديد من الرفاق في هذه المدرسة، أذكر منهم العميد سليم أبو إسماعيل والذي شغل العديد من المناصب العسكرية في الجيش اللبناني، وأيضاً من العائلات الدرزية الكريمة والمعروفة في منطقة الشوف أمثال عائلات أبو حاطوم وحمادة وحسن والصباغ وخضر وغيرهم.

بقيت في بعقلين عامين حيث نلت الشهادة الثانوية. كانت فترة بقائي في هذه البلدة الرائعة التي تقع في جبال الشوف من أجمل فترات الحياة، كان مخزوناً رائعاً لأمور عديدة اكتسبتها من أهالي بعقلين، الإخلاص في التعامل والدفء في المشاعر تجاه الآخرين بالإضافة إلى كرم الضيافة وحسن المعشر.

الحياة العملية

التحقت بالعمل مع الوالد في عام 1969 وكان عمري ثلاثة وعشرون عاماً.

بدأت العمل في أول الأمر في المكتب التجاري، وذلك بإنهاء المعاملات في الدوائر الحكومية للتصدير والاستيراد من المواد التي كنا نقوم بتصديرها وعلى الأخص القمر الدين والمجففات إلى الأقطار العربية. ومن ثم بدأت بالمراسلات إلى جميع عملائنا في الدول العربية وكنت في غاية السرور في هذا العمل وما كنت أقوم به، وقد أبدعت فيه كل الإبداع وأعطيته الكثير من الإخلاص والتفاني والمتابعة، وكان عملاً مرهقاً يحتاج إلى الكثير من الملاحقة والمثابرة والمتابعة. وكان والدي مسرور جداً من الدور الذي كنت أقوم به بكل إخلاص حتى إنه في يومٍ من الأيام قال لي: هل تعرف المثل الذي يقول: واحد بألفٍ وألفٍ بأفٍّ؟؟ قلت له لا.

قال: هناك شخص واحد يساوي ألف شخص. وهناك ألف شخص يساوون كلمة أفٍّ (أي لا شيء).

أجبته: وماذا تقصد من كلامك؟؟

أجاب: أنت الواحد الذي أقصده، فإنك تساوي ألف شخص.

أعود إلى مرحلة الحياة العملية، كنت أقوم في جميع الأعمال الموكلة إليّ دون حصرٍ وأذكر منها في هذه الفترة بالذات ما بين عاميّ 1969 و1972:

1- ملاحقات جميع المعاملات الحكومية والمصرفية.

2- إدارة وإشرافاً على تصنيع القمر الدين في معامله الفواقة في مزرعتنا.

3- الإشراف على الإدارة على أعمال الزراعة في الزبداني.

وفي عام 1969 قرر الوالد أن أدخل الحياة الزوجية، وقد كان له صديق قريب منه يدعى صادق ملص وهو من العائلات الدمشقية المعروفة وكان من الأوائل الذين أسسوا معملاً للبلاط في دمشق وفي منطقة المناخلية بالـــذات، وتزوجت ابنته وأنجبت منها ابني البكر زكي.

الخدمة العسكرية

جاء الوقت الذي وجب عليّ أن أقوم بأداء الخدمة العسكرية الإلزامية.

وقد كان لنا صديق عزيز في الجيش يدعى العقيد زهير الشيخ "أبو كرم" وما زال على قيد الحياة حتى يومنا هذا، وله مكانة خاصة في قلبي والذي كان وما زال مثال الإنسان المحب والخدوم والوفي. وكان المذكور يشغل منصباً في إدارة الاستطلاع في الأركان. التحقت في مركز التدريب الأول في حلب، وقد سبقتني برقية الفرز للالتحاق في الكتيبة 81 وكان موقعها في مزرعة الكويتي على طريق المطار وفي الجسر الثاني بالذات. التحقت في هذه الكتيبة لأنهي دورة التدريب لمدّة شهراً واحد ثم بدأ دوامي اليومي في مبنى الأركان في ديوان إدارة الاستطلاع وكان يرأس هذه الإدارة العماد حكمت الشهابي والذي كان في رتبة عقيد.

ثم أداوم حتى الثانية بعض الظهر ثم أقوم بمتابعة الأعمال الموكلة إليّ والمتوجب عليّ إنهاءها في حياتي العملية، وكنت بعض الأحيان آخذ الكثير من الأذونة بالسماح لي للتغيّب عن الدوام في الجيش، وكان رئيسي المذكور أبو كرم في غاية التجاوب والكرم في تقدير ظروف عملي.

وخلال هذه الفترة بالذات وأقصد فترة الخدمة العسكرية، كانت فرصة لي بالتصرف ومعايشة ومعرفة الكثير من ضباط الجيش العربي السوري، وكنت في غاية السعادة لهذه المعرفة والتي ربطتني معهم أواصر الصداقة والعلاقة الأخوية المتينة. أذكر منهم على سبيل المثال: العماد أول مصطفى

طلاس، العماد حسن كوركماني، والعديد من الضباط الذين شغلوا مراكـــز عالية أمثال: عبد الرزاق دردري، واللواء زهير غزال، واللواء إبراهيم العمـــر، واللواء عبد الرحمن الخليفاوي، واللواء مفيد هواش واللواء أديب طرابزللـــي واللواء علي حمّاد واللواء عبد الرحمن الحريري واللواء يوسف شكور وغيرهم. وأيضاً العماد إبراهيم الصافي والعماد شفيق فياض والعماد ناجي جميل واللواء عبد الحميد الجمل.

عودة إلى الحياة العملية

أهيت خدمتي الإلزامية عام 1972 وعدت أكثر نشاطاً إلى حياتي العملية معطياً إياها كل الاهتمام والتفاني وبدوامٍ كامل حيث بدأت أعمالنا تتوسـع أكثر وأكثر وذلك من خلال الأعمال الزراعية سواء في الزبداني أو في العدمل في الغوطة.

رزقني الله خلال هذه الفترة بابني زكي.

وبعد قدومه بستة أشهر حصل الانفصال بيني وبين زوجتي ولأسـباب أجهلها ولكن هذه إرادة الله. وقد حرصت أن أرعاه وأن يكون من نصيبـي وليس من نصيب والدته، وكانت والدتي الغالية أم راتب رحمها الله لها كـل الفضل في رعايته وتربيته، رحمها الله وآنسها الله الجنّة.

وكما ذكرت بدأت أعمالنا تتوسع خلال أعوام نهاية السبعينيات وبدءاً من أوائل الثمانينيات حيث دخلت في مجال جديد لم أدخله من قبل وهو مجال البناء. ووجدت لذّة وشغفاً في هذا العمل لما له من إيجابيات عديـدة منـها التعرف على جوٍّ جديد سواء وبدءاً من التعاطي مع مهندس البناء في الخرائط ونهاية إلى التدخل والإلمام في كل تفاصيل البناء من أعمال التقطيع والإكساء وإلى غير ذلك من الأعمال التي يتطلبها هذا المجال.

وقد قمت ببناء أول فيللا في منطقة الزبداني جانـب جـامع الشـلاّح ووجدت بل اكتشفت هذه المتعة التي كانت عملاً جديداً أمارسه رغم الضغط الذي كنت أشعر به في متابعة الأعمال التي كنت أقوم بها.

مجال البناء

ووجدت نفسي أغرق أكثر وأكثر في هذا المجال، واشتد الانغماس أكثر في أعمال البناء في أواسط الثمانينيات حتى التسعينيات.

كان الانغماس في هذا المجال من خلال البدء في تشييد مجمّع سكني في مزرعتنا وفي منطقة الخامسية بالذات والقريبة من قرية دير سلمان بالذات.

وهمّة أكيدة وتصميم كبير بدأت مع شقيقي غسان بهذا المشروع مقروناً بتشجيع من الوالد ومباركته رحمه الله. وبدأنا أولاً بعملية الإفراز ومن ثم التخطيط وأيضاً بعمليات فتح الشوارع وتزفيتها وتأمين مراكز تحويل الكهرباء. واتفقنا مع مهندس يدعى عماد الطوخي وهو يعمل أيضاً في مجال بناء المسبق الصنع من مستودعات ومعامل وغيرها.

وأعطيت هذا المشروع الكثير من الاعتناء والعطاء والملاحقة ليكون مشروعاً جديداً لم يقم به أحد من قبل. وباشرنا العمل ببناء ثلاثة فيللات حتى الوصول إلى الانتهاء من هذا المشروع والذي وصل عدد الفيللات إلى 20 فيللا تقريباً.

وحين الوصول إلى بناء الفيللا السادسة حلّت الكارثة.

فقد بدأنا العمل بعد الحصول على إذن من رئيس البلدية وكان يدعى عبد الله بكر وهو من قرية دير سلمان، وكان أخاً محبّاً ومتجاوباً يريد للمنطقة وللبلدية العائدة له كل التقدم والازدهار ووجد من خلال الأعمال التي قمنا بها الغاية المنشودة في تحقيق ما كان يتمناه.

وفي أحد الأيام، جاءني هاتف منه وهو يصرخ في أعلى صوته: أنقذني يا أبو زكي، أنا في السجن...

دهشت لقوله وسألته عن السبب فأجابني بأن مدير الخدمات في محافظة الريف مرّ ورأى الفيللات المشيدة بدون أي ترخيص، فأمر بوقف جميع الأعمال وبوضع رئيس البلدية المذكور مع العمال في السجن بأمر المحافظ.

شعرت بالحيرة والتوتر في تلك اللحظة ولم أدري كيف أتصرف وفجأة اتصلت بأخٍ عزيز على عائلة الشلاّح أحببناه وما زلنا بحبّه حتى الآن ألا وهو الأخ محمد دعبول "أبو سليم" مدير مكتب السيد الرئيس حافظ الأسد في ذلك الوقت. قمت بزيارته في داره وبناء على طلبي، ورحّب بقدومي وسألني عن الموضوع.

قلت له: لقد أمر المحافظ علي زيود محافظ الريف بوضع رئيس البلدية بالسجن مع باقي العمّال وذلك لعدم الحصول على ترخيص من المحافظة.

سألني ضاحكاً: وكيف قمتم بذلك وبدون ترخيص؟؟

أجبته: هذا ما حصل، والمهم نيّتنا طيبة، والمهم هو خروج رئيس البلدية من السجن وليذهب المشروع إلى الجحيم.

أجاب قائلاً: سأتصل بالمحافظ مع توصية وآخذ موعد لكم بمقابلته يوم غدٍ. وأنت بدورك ستشرح له كل الأمور بأسلوبك.

في اليوم الثاني قابلت المحافظ علي زيود، وكان ودوداً ومحبّاً ومرحباً وكلمة حق أقولها بأن هذا الإنسان له فضل على الكثير من الأعمال التي أقيمت في عهده في محافظة ريف دمشق سواء من أبنية أو خدمات ومعامل في عهده.

شرحت له الموضوع مع اعتذار من القلب له بالقيام بما قمنا به دون الحصول على الترخيص المطلوب. تفهّم الموضوع واستجاب لنا وأمر بإخراج رئيس البلدية من السجن، وأيضاً طلب أن نتقدّم بترخيص حسب الأصول

فيما يتعلق بهذا المشروع واعداً أن يمنحنا كل الدعم والتشجيع. وطالما أنا في ذكر هذا الشخص الذي يدعى علي زيود، فإن لي معه قصة أخرى لزاماً عليّ أن أذكرها لأذكر محاسن هذا الرجل وما قام به من رجولة في اتخاذ القرارات التي كان يتخذها من خلال مركزه الهام في المحافظة الذي شغله لسنوات عديدة، والقصة هي الآتي:

أسس جدّي المرحوم سليم الشلاّح جمعية الإسعاف الخيري للأيتام مع لفيف من رجال الأعمال في ذلك الوقت، والجمعية قائمة ولله الحمد حتى يومنا هذا.

ولما تشغله هذه المدرسة من نقطة حساسة، ارتأى المرحوم الوالد أن يتم بناء للجمعية خارج دمشق في منطقة أشرفية صحنايا بعد أن تم شراء الأرض المطلوبة والمخصصة لذلك هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى يتم الاستفادة من موقع الجمعية الكائن في شارع البرازيل خلف حديقة مجلس الشعب والاستفادة من هذا الموقع وبناء فندق ومجمع خدمات يكون ريعه لصالح الجمعية ولأيتامها.

ولم يستطع أي أحد من أعضاء مجلس الإدارة الذين تناوبوا أن يتم الحصول على إذن بالبناء الجديد للجمعية في أشرفية صحنايا كما ذكرت من قبل.

وفي الثمانينيات على ما أذكر، استلمت منصب أمين سر الجمعية وقررت العمل للحصول على الترخيص المطلوب، وفاتحت السيد الوالد بهذا الموضوع فأجاب: أعرف بأنه بإمكانك الحصول على ذلك، أرني شطارتك وهمّتك إن استطعته.

اتصلت بالأخ المحافظ علي زيّود وطلب مني زيارته. شرحت له الموضوع وقد جهزت طلب الترخيص الموضوع في جيبي مسبقاً. وبعد تأمل وصمت قصير من قبله قال: هل جهزت طلباً خطياً لذلك؟ أبرزت الطلب له، وبعد

الاطلاع عليه قال: ثمانية آلاف متر مربع بناء لن أوافق عليه، وهـذا كـثير ومخالف.

قلت له: وماذا تأمر به؟؟

قال:: إكراماً لك ولوالدك العزيز سأسمح لكم ببناء ثلاثة آلاف متر بناء فقط.

أجبته: وأنا لك من الشاكرين، أعطني موافقة على ثلاثـة آلاف متـر وسنضع حجراً للأساس وسيكون ذلك تحت رعايتك في احتفال لائق وسيبثّ تلفزيونياً.

ردّ قائلاً: وإذا خالفت بأكثر من ثلاثة متر، ما هي النتيجة؟؟

قلت له: أنت الكريم ونحن الذين نستاهل، وسندفع رسوم أي مخالفة على المساحة الإضافية حسب الأصول.

قال ضاحكاً: يعني تنوي أن تخالف؟؟؟

أجبت: دع الأمور على الله والمهم أن نباشر بذلك.

وقد تم وكما وعدته بوضع حجر الأساس تحـت رعايتـه وباحتفـال جماهيري بثّ في التلفزيون. والآن تم إشادة البناء وبمساحة ثمانية آلاف متر وتم دفع رسوم المخالفة للمساحات الإضافية كما وعدت.

ذكرت هذه الحادثة لأبين بأن المسؤول الأصلي هو المسؤول في اتخـاذ القرار وعلى مسؤوليته وذلك بكل جرأة وتجرّد وإخلاص، ويا ليت جميع من يتبوأ مركزاً حساساً لديه الجرأة التي كانت لدى العزيز علي زيود، ومن خلال هذه الأسطر أوجه له كل التحية والشكر والامتنان.

وأعود مرّة ثانية إلى موضوع المجمّع السكني وأقول: لقد أتممنا المشروع المذكور وقد تشجع الكثير من الناس في أن يكون لهم فيللا في هذا المشـروع وأذكر منهم الدكتور العزيز محمد الشامي وغيرهم. وأضاف شقيقي غسـان لاحقاً صرحاً مميزاً بإشادة قرية كاملة ومتكاملة فيها المطاعم وجميع الملحقات

لتكون نموذجاً سياحياً رائعاً أسماها (القرية الشامية) وما زالت قائمة حتى يومنا هذا. وصوّر فيها مسلسل باب الحارة.

أعود مرة أخرى إلى الحياة العملية، فقد انتقل مكتبنا في أواسط الثمانينيات من شارع الملك فيصل إلى منطقة باب توما، وبالتحديد في بناء جانب ثانوية أمية. وقد دخل أشقائي تباعاً للعمل في هذه المؤسسة سواء الإخوة سليم وغسان ثم عادوا واستقل كل منهما في عمله الخاص، وبقيت في المؤسسة ومعي ابن عمي الدكتور موفق الشلاّح، وقد دام تلازمنا ما يقارب الثلاثون عاماً وكان مثال الرفيق الرائع والأخ المحب. وفي خلال هذه الفترة بقينا على وتيرة مجال عملنا وعلى رأس ذلك تصنيع القمر الدين وأيضاً معمل تكسير بزر المشمش والذي كنا نصدّره إلى أوروبا.

وقد رافقني ابن عمي موفق في العديد من المرات إلى إدلب وذلك لشراء التين المجفف من نواحي عديدة من محافظة إدلب وخاصة منطقة جبل الزاوية ومن قرية كفرنبل بالذات. كانت تمتد هذه الرحلة إلى ما يقارب العشرون يوماً أحياناً، المنامة كانت في قرية النيرب القريبة من إدلب والتي تمتاز بشدّة برودة طقسها في فصل الشتاء لتصل الحرارة إلى ما يقارب الـ 4 تحت الصفر. والنوم كان في دار عميل لنا يدعى خالد الدجّ والذي يحمل كل صفات الوداعة والحنان وحسن الضيافة والكرم، كان يفرش الفراش لنا في غرفته الخاصة على الأرض، وتتوسط الغرفة مدفأة تعمل على المازوت والتي كانت تعمل طوال الليل، ورغم وجود المدفأة والغطاء بـ ثلاثة حرامات ولحاف فإن البرد القارس الذي كنا نشعر به لا يمكن وصفه.

وفي ذلك الوقت كان هناك تعاوناً بيننا وبين شقيقي الأخ راتب وكان هو مقيماً في بيروت، ويأتي مرة في الأسبوع، حتى اضطرّ إلى الاستقرار في دمشق في نهاية الثمانينيات نظراً للأحوال الأمنية المتردية التي حصلت في بيروت وذلك بسبب الحرب الأهلية أو الاجتياح الإسرائيلي.

أما بالنسبة للسيد الوالد، فمنذ أوائل الثمانينيات تقريباً ترك العمل التجاري وتفرغ إلى غرفة تجارة دمشق والتي دامت فترة رئاسته لها حوالى العشرون عام /1972-1992/.

التفكير بالسفر

واكتشفت بأننا في وضع يجب تحسينه وذلك بالعمل على إيجاد مجـالات جديدة في العمل وذلك لكثرة المصاريف والأعباء الواجب تحمّلها تجاه عائلتي. وقررت أن تكوني دبـي هي المحطة الأولى، وكانت هـذه الإمـارة في أول ظهورها وانفتاحها، وقد كان لنا الكثير من الأصدقاء في دولـة الإمـارات بشكل عام وإمارة دبـي بشكل خاص، أذكر منهم الشيخ حميـد النعيمـي حاكم إمارة عجمان وأيضاً الكثير من رجال الأعمال المعروضين أمثال السادة جمعة الماجد وماجد العظيم وسعيد النابودة وعبد الله العزيز وعبد الله الخرجي وغيرهم.

دخلت إلى غرفة الوالد رحمه الله، وفاتحته بالموضوع عارضاً عليه فكرة أن أسس عملاً في دبـي.

سألني قائلاً: وهل تريد الاستقرار هناك؟؟؟

أجبته: هذا يتوقف على نوع العمل الذي سأقوم به.

أجابني: وما نوع العمل الذي ستقوم به؟؟ من ناحيتي فليس لـديّ أي رأسمال أو مبلغ نقدي أعطيه لك، وإذا كنت مصراً على الذهاب، فسـيكون ذلك من خلال عمل وظيفي لك لدى جمعة الماجد أو في أحد مؤسساته.

قال ذلك وقد لاحظت علائم الأسى على وجهه مع تجهّم قليل، ومـن خلال علائم وجهه وحديثه لمست وشعرت بأن لا يريدني على الإطـلاق أن أسافر، أو أن أترك المؤسسة في أي حال من الأحوال، أو حتى الابتعاد عنـه،

فقد تعوّد على وجودي وعلى أن أكون إلى جانبه، وسيكون هنـــاك فضـــلاً خاصاً عن هذه الناحية بل هذه النقطة بالذات كونها تشكل محوراً هامّاً ونقطة أهم في مراحل حياتي العملية، والمحور الذي أقصده هو الفترة التي لازمت فيها المرحوم الوالد، وما قدّمته له، وما عملت لأجله وما كان هناك من تعامـــل روحي بيني وبين ذلك الإنسان. أعزّ إنسان على حياتي كان ذلك ومـــا زال حتى الآن.

ولأكون عقلانياً، وأن أكون موازياً أيضاً للأمور فقد وجدت بأنه الحل الأنسب أن أؤسس عملاً في دبـــي دون الحاجة إلى البقاء هناك طوال الوقت من جهة ودون أن يكون ذلك على حساب عمل ومؤسسة هنا في دمشـــق كان لي دوراً مميزاً فيها من جهة ثانية ولا أريد أن أخسر ذلك في أي حال من الأحوال.

إلى دبي

ذهبت إلى دبـــي واجتمعت مع الأخ جمعة الماجد، وهو مـــن كبـــار رجال الأعمال وكانت برفقتي زوجتي منى وابني بشر والذي كـــان عمـــره عامان.

فاتحته بالموضوع وكان ذلك في داره بعد أن دعاني إلى تناول الغذاء.

أبدى كل التجاوب والاستعداد للتعامل معي قائلاً: عليك أن تختـــار أي مشروع في ذهنك وأنا شريكك، منّي رأسمال المال الذي يتطلبه هذا المشروع مهما بلغ، ومنك الإدارة التامة والإشراف الكامل دون أي تدخل من طرفي، ولكن شرطي الوحيد هو أن تستقر في دبـــي وأن تكون متواجداً على رأس المشروع الذي تنوي إقامته.

أجبته قائلاً: لا أفكر في السكن أو التواجد طوال الوقـــت في دبـــــي، وهمّي الأول والأخير أن أكون دائماً إلى جانب الوالدين لأكســـب رضـــاهما وأقوم بخدمتها وأرعاهما قدر المستطاع.

ردّ قائلاً: هذا لا يمكن، وما تقوله بعيد عن الواقع، إما التواجد الكامل أو إلغاء الموضوع من أصله.

عدت بأدراجي إلى الفندق وبدأت أفكر، ووجدت الحل الوسط. كـــان لي أخ عزيز يدعى نصوح السيروان، وكان كابتن في الطيران السوري، ومن ثم استقر في دبـــي بعد أن تقاعد، وشارع شخصاً فلسطينياً في شركة تعمل في مجال المواد الغذائية، بالإضافة إلى سوبرماركت تدعى (العائلة).

شرحت له الموضوع وأبدى ترحيبه في مشاركته وقلت له: المشـــاركة ستكون في السوبرماركت، وسأدخل مناصفة. وتم الاتفاق على ذلك وذلك بعد تقييم قيمته وموجوداته ودفعت له نصف الحصة نقداً والتي بلغت الـــ 70 ألف درهماً في ذلك الوقت.

وقلت له: لا يمكنني البقاء في دبـــي والاستقرار فيها، لذلك ســـأطلب من شقيق زوجتي سمير حبال أن يستقر هنا ويكون هو المدير المسؤول عــــن ذلك.

لم يمانع، وعدت إلى دمشق وعرضت الموضوع على شـــقيق زوجـــتي، وأبدى موافقته واستعداده للسفر على أن يكون له نسبة مئوية من الأربـــاح بالإضافة إلى راتب شهري مقطوع.

وبقيت في دمشق متابعاً عملي المعتاد، وقد سرّ والدي من هذا التصرف العقلاني ووجدت كل السعادة على ملامح وجهه.

وبعد مرور ستة أشهر تقريباً بدأت علائم التململ من قبل سمير حبـــال متذرعاً لأسباب بالعودة إلى دمشق. كان ذلك من خلال اتصال هاتفي منـــه وهو في دبـــي، طلبت منه التريّث والانتظار حتى موعد قدومي إلى دبـــــي، وللأسف ترك كل شيء فجأة وعاد إلى دمشق.

صُدمت صدمة كبيرة لتصرفه الذي قام به دون إعلامي، وسكتُ علـــى مضض، وقررت السفر إلى دبـــي لأنهي هذا الموضوع الذي أصـــبح لقمـــة مستساغة في فم الشريك نصوح السيروان. وقبل سفري إلى دبـــي بعدّة أيام تلقيت اتصالاً هاتفياً من المدعو السيروان يعلمـــني بـــأن حريقـــاً شـــبّ في السوبرماركت أتى على كل موجوداته.

صُعقت للخبر وفي اليوم التالي ســـافرت إلى دبـــــي، ولأجـــد بـــأن السوبرماركت قد أتى الحريق عليه بكامله، ثم اكتشفت لاحقاً بأن الحريـــق كان متعمّداً و لم أستطع أن أعمل شيئاً ووجدت بأنني خسرت ما دفعته بـــين

ليلة وضحاها. وهذه الحادثة هي واحدة من عدّة حوادث تعرضت لها من خلال الطيبة والتجاوب وحسن النوايا كما يقولون.

ومضت الأيام وعاد من خلالها الشقيق راتب إلى دمشق واستقر بها وذلك في أوائل التسعينيات. وقررت الخوض مرة ثانية في تجربة جديدة في السعودية، وكانت تجربة شاقة تستحق الذكر وهي الآتي.

إلى السعودية

قررت الحصول على إقامة في السعودية وكان ذلك في غاية الصعوبة ومن خلال مركز المرحوم الوالد من ناحية، ودأبـــي وإرادتي من ناحية ثانية تمكنت من الحصول على إقامة من خلال زيارة قمت بها مع الوالد إلى وزير الداخلية سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية.

وقررت مشاركة ابن شقيقتي المدعو رياض سكر والذي مقيم في جـــدة ويعمل مهندساً لدى شركة NCR، وتمّ تأسيس شركة بعد حصـــولنا علـــى وكالة Byte للكومبيوتر في جدّة، وقمت بدفع ما ترتّب علي من رأسمال بلغ أكثر من 400 ألف ريال على أن تكون مناصفة بيني وبينه، الإدارة عليه وأتعابه هي النصف، والرأسمال الذي دفعته هي النصف الآخر.

ومرّ عاماً على تأسيس الشركة، وكنت أقوم بزيارته في السعودية بـــين حين وآخر، أسمع منه بأن كل شيء على ما يرام وأن الأمور والحمد لله تسير من أحسن إلى أحسن، وأعطيته كل الثقة المطلقة دون الحاجـــة إلى المفاتشـــة خلال هذا العام منتظراً مرور عام على أقل تقدير وبعدها سنرى ما آلت إليه النتائج. وبالإضافة إلى ذلك دخلت في مجالٍ آخر وهو اســـتيراد الســـيارات الأميركية المستعملة من أميركا لبيعها في السعودية.

بعد مرور عامٍ ودون أي إنذار، أفاجئ بعودة رياض سكر إلى دمشـــق نهائياً وقراره المفاجئ بالاستقرار في دمشق. ذُهلت وصُعقتْ لهذا التصـــرف، وخلال جلسة كانت بيننا فوجئت بقوله: (اضطررت إلى تصـــفية الشـــركة

والاستقالة من شركتي أيضاً، فإن مكتب وزارة العمل دخلـت إلى المكتب للتفتيش، واضطررت إلى حرق كل الأوراق).

قلت له: وأين بيان الأرباح والخسائر وبيان أعمال الشركة خلال عامين تقريباً؟؟؟

أجاب: لقد تم إحراقهم بالكامل.

قلت له: وأين رأس المال؟؟ وأين قيمة المكاتب؟؟ وأين أوراق التصفية؟؟؟ وأين ذهبت المبالغ التي حولتها لك؟؟؟

وبدأ باللف والدوران مع كذب واضح وتلاعب أوضح. حتى إنني اضطررت إلى مفاتحة الوالد رحمه الله بالموضوع ووضعه بالصورة بالذي جرى.

طلب الوالد أن يكون هناك اجتماعاً بيننا وبحضور والديه واللذين يكونان شقيقيَ وصهري.

دام هذا الاجتماع ساعات، لم يصل الوالد معه إلى حق أو باطل رغم حنكته وذكائه وتبيّن له بأن حفيده كاذباً في كل أقواله وتبريراته وحتى أيضاً نكرانه لمبالغ نقدية تم تحويلها له من قبلي ونكر بأنه استلمها، وذلك بعد أن بينت له صوراً مصدقة عن الشيكات من قبل البنك.

هذه الحادثة علمتني الكثير وكانت بمثابة الدرس القاسي الذي تعلمته، والصدمة الأقسى التي تلقيتها كونها أتت من قريب وليس من غريب، هذا القريب أعطيت له كل شيء، المال، والثقة، والتعاون وكل التجاوب والإخلاص والمحبة. وسلم فم من قال: (الأقارب عقارب)، والأذى والحقد والحسد لا يأتي إلا من الأقارب.

تناسيت هذه الحادثة مع أنها تركت أثراً كبيراً في نفسي لم أجد أي سبب لتصرفه المخادع، أضيف إلى ذلك ما أقدم عليه وهو قيامه ببيع ثلاث سيارات كاديلاك قبل مغادرته جدة وقبض ثمنها مما شكل مبلغاً إضافياً على خسائري

التي خسرها. وقد أسلمت أمري إلى الله وقبلت بما كتبه الله لي بناء على طلب والدي من جهة، وإكراماً لخاطر شقيقتي من جهة ثانية والتي لم تقدّر ما أبديته من شهامة في التصرف بل كانت أول من وقف ضدي وكانت إلى جانب ابنها البريء والنزيه. وحتى هذا اليوم فإن علاقتي معه شبه مقطوعة ولا يوجد أي نوع من الاتصال بيننا، أما شقيقتي فقد حرصت أن أراعي صلة الرحم وأن أبقى متواصلاً معها، مطمئناً عنها عملاً بقول رسول الله ﷺ: (من ضمن لي اثنان ضمنت له الجنّة، وهما برّ الوالدين وصلة الرحم).

بعد عودة شقيقي راتب إلى دمشق كما ذكرت، بدأت المشاكل تطفو على السطح، بدأ أكثر تذمّراً وتأففاً عن وضع الشركة وأن الخسائر هو من يتحمّلها. هذه المقولة كانت تتكرر يوماً بعد يومٍ وعلى مدار الساعة حتى أوصلتني إلى مرحلة لم أعد أن أتحمل ذلك. وجمعتنا جلسة سوياً قلت له من خلالها: قل لي ماذا تريد؟؟؟ وماذا ترمي إليه من خلال حديثك اليومي وأقوالك المكررة؟؟؟ إذا كان ذلك مبعث إزعاج وقلق لك فالأفضل أن نحلّ الشركة.

فوجئ بقولي و لم يتوقع ذلك. تابعت قائلاً: ما يهمني هو راحتك والمهم أن يكون حلّ الشركة مصدر راحةٍ لك.

ردّ عليّ قائلاً: أنا الذي أحمل كل الديون والتي يطالبني البنك بتسديد المبالغ التي اقترضتها...

خرجت من الغرفة والألم يعتصرني، وقلت لنفسي: طفح الكيل، ويجب وضع نهاية لكل شيء.

ومرةَ أخرى يكتب الله لي بالدخول إلى تجربة ثالثة وأشدّ مرارة من التجربتين السابقتين.

مشروع جديد

قررت أن أشارك المدعو عماد الطوخي، والذي أشــرت إلى ذكــره في موضوع البناء. وقررت أن أؤسس معملاً للمقبلات الغذائية وكان ذلــك في أواسط التسعينيات، وقمت بعمل الدراسة المطلوبة للمشروع والقــيم بكــل التراخيص، وإثباتاً لطيبة القلب سألت الأخ راتب إن كان في نيّته أن يشاركني في هذا المشروع، وأبدى كل اعتذاره متذرعاً بقوله: ليس لديّ رأس مــال، والديون تلاحقني من قبل البنوك.

سكتُ وفضلت الصمت، وقررت المضي في هذا المشروع مع المــدعو عماد الطوخي.

اخترت موقع المشروع والذي يقع في الخامسية وضمن مزرعتنا وباشرت بكل همّة ونشاط بمتابعة كافة الأمور من تراخيص ودراسات ومراسلات مــع تايوان في موضوع استيراد الآلات المطلوبة.

وكانــت هــذه الفتــرة في غايــة الصــعوبة بالنســبة لي وذلــك لسببين:

السبب الأول: اشتداد المرض على الغالية المرحومة الوالدة والتي تطلــب مني البقاء إلى جانبها الكثير من الوقت سواء أثناء تواجدها في الدار أو حــين دخولها إلى المشفى.

السبب الثاني: وقوع الوالد في الشارقة مما سبب له كسراً في رقبة الفخذ حيث أجريت له العملية في الشارقة وفي مشفى الزهراء مما استدعى إلى سفري

إلى هناك وملازمته لمدّة أسبوعين والعودة معه إلى دمشق والبقاء معه قدر الإمكان وإلى جانبه.

وأيضاً وقوعه بعد أشهر أخرى مما سبّب في ذلك كسراً آخراً في الفخذ الأيمن.

أعود إلى موضوع معمل المكسرات:

دخلت لعند المرحوم الوالد وأعلمته من المشروع وسألني قائلاً: "وما هو المطلوب مني؟؟". قلت له أريد أن تساعدني مادياً، وأنا بحاجة إلى مبلغ مئتان ألف دولار أميركي. سكت ولم يجب. في اليوم الثاني وكنت متواجداً معه وبحضور أشقائي راتب وسليم، التفت إلى راتب قائلاً: أعطي محمد مبلغ مئتان ألف دولار وبموجب شيك. سكت راتب ولم يجب. وبدأت بمتابعة المشروع حتى جاء وقت السفر إلى تايوان وذلك لإنهاء موضوع الآلات ودفع قيمتهم. وساعدني في ذلك وجود شخص يدعى عيد جزائري وقد مضى على وجوده في تايوان ما يقارب العشرون عاماً، ومن خلال شركته هناك وإقامته مع عائلته يقوم بتقديم كافة الأعمال لرجال الأعمال السوريين الذين يزورون تايوان وذلك لقاء عمولة معينة وبنسبة مئوية.

توجهت إلى تايوان بعد توقف في دبي ليومين. وكان الأخ عيد في استقبالنا في المطار مع زوجته. بقينا في تايوان ما يقارب الأسبوعين أمضيتها في زيارة المعمل الذي سيزودنا بالآلات، مع جلسات يومية لبحث كافة الأمور ومن جميع جوانبها، الإنتاج والتجارب واستطاعة الآلات، وقمت أيضاً بزيارة إلى العديد من المعامل التي تنتج مثل هذه الأصناف وذلك لكسب الكثير من الخبرة والاطلاع على أصناف عدّة من المكسرات، وكان لوجود الأخ عيد في تايوان خير عون ومساعد سواء في التنقل أو في الترجمة إلى اللغة الصينية والتي يجيدها كل الإجادة.

عدت من تايوان و لم أعد أداوم في مكتب الشركة، بل مواظباً على الإشراف على المعمل وتجهيزه. وساعدني في ذلك نومي في الفيللا التي شيدتها والتي تقع على مسافة قصيرة من المعمل. ووصلت الآلات وتمّ عملية التخليص، وأيضاً تجهيز الآلات وتركيبها وتجربتها وطبعاً فقد كان ذلك بحضور المهندسين الذين حضروا من الصين. وبعد تعب مضني وكان ذلك في عام 1995، كان ذلك عاماً معيناً وقاسياً وخاصة بأنني فقدت الغالية الوالدة المرحومة أم راتب في الأول من شهر أيلول من ذلك العام، وكان ذلك بمثابة زلزالاً كبيراً بالنسبة لي، ووقف الله معي متناسياً آلام الفراق ولوعة الرحيل.

وبدأ المعمل يدور والإنتاج بدأ يرى النور وقد أتعبني جداً حتى وصلت إلى هاوية الانهيار. وكنت مسؤولاً في المعمل عن كل الأمور من ألفها إلى يائها كما يقولون، الإنتاج والتصنيع والإشراف والإدارة والبيع والتوزيع. وبعد مضي حوالى الثمانية شهور، طلبت من شريكي أن يسدد لي ما عليه من ذمة عليه تسديدها من حصته، وهنا ظهرت المراوغة والمماطلة من قبله، حتى فاجأني في يوم من الأيام بمؤامرته مع السكرتيرة وسرقة ديسك الحسابات ثم بدأ بعملية التخوين وبأن قيمة الآلات التي تم استيرادها من تايوان هي أقل سعراً من القيمة التي سجلتها، وقام من وراء ظهري بمراسلة المعمل طالباً أن يرسلوا له قيمة الآلات التي تمّ تحويلها من قبلي، واتصل بي صاحب المعمل الصيني يعلمني بذلك، وطلبت منه أن يرسلها له لأظهر لشريكي بأنه ليس هناك من تلاعب في القيمة وبأنني كنت صادقاً معه. ووصلت المعلومات له وتبيّن له صدق معاملتي، ولكن أما بالنسبة لي فإن تصرّفه وتخويني سبب لي جرحاً كبيراً مما استدعاني إلى اتخاذ قراري بالعمل على فسخ الشراكة وإيقاف المنتج، مما سبب لي الكثير من الألم من ناحية والتكبد بالكثير من الخسائر المالية. وتم تصفية المعمل وبيعه بنصف قيمته مع الآلات وشكوتي كانت لله فقط وحتى هذا اليوم فإنني لن أغفر له ما أقدم عليه وما فعله بي، فقد كان

معملاً نموذجياً بذلت فيه قصارى جهدي ليصبح على ما أصبح عليه ولكن ما الفائدة؟؟؟

أعود إلى موضوع التصفية في مؤسستنا الأولى مع شقيقي وابن عمي، و لم أبدي أي مطالبة أو ملاحظة، وبعد فترة وجيزة أعلمني بأنني مديون للشركة بـ 12 مليون ليرة سورية، وبأنه يسامحني بهم وتابع إجراءات التصفية بينه وبين ابن عمه الدكتور موفق وحتى وصلت الأمور فيما بينهما إلى التلاسن والاتهامات المتبادلة والمضادة، وبصورة أخرى تم حلّ النزاع بينهما من خلال تحكيم وسيط من آل الحافي من الميدان.

وبالطبع المحصّلة بعد ثلاثين عاماً: صفراً. لا رأسمال معي ولا سجل تجاري ولا مكتب، بل صفر اليدين، وكان ذلك في عام 1998. وبقيت قابعاً في الدار، معظم أوقاتي وأنا إلى جانب الوالد والذي كان يقطن في البناء نفسه وفي الدور الثالث. وكان طريح الفراش وكنت كل يوم ألازمه وأقوم بخدمته وتحميمه والقراءة له، حتى وافته المنية عام 1999 في الثاني من شهر نيسان.

وخلال هذه الفترة أثناء وجودي إلى جانب والدي، كانت فرصة أن أنشر أول كتاب لي بعنوان (جنى الرضا) كتبت من خلاله الشيء الكافي والوافي عن الوالدين، ولا أريد أن أذكر وأعيد ما ذكرته فيما جاء في كتابي عن علاقتي مع الوالدين وما قدمته لهما.

أعود إلى الأخ راتب، والذي كان يشكو من الديون ومن الأعباء المترتبة عليه. ووجدت بأن كل ما كان يقوله بعيداً عن الواقع كل البعد وأوضح بعد الأمور الواقعية والبعيدة كل البعد عن الحقد أو الحسد أو الغيرة. فقد وجدت بأن ما جرى وما قام به مغايراً ومعاكساً لكل ما كان يدّعيه ويقوله.

قام بإنشاء معملاً للحرامات وبشراكة هيثم بقبوق مفضلاً عليه شراكتي. ثم قام بالحصول على وكالة سيارات نيسان اليابانية، والذي أعرفه بأن من عليه التزامات وديون من البنوك لا يمكن أن يقوم بما قام به. ولا أريد الدخول

الآن في متاهات لا أريد أن أخوضها بعد الآن، فقد عانيت الأمرّين من خلال تواجدي معه في الشركة، أسوأ التقريح والتأنيب، أو التوبيخ والتحقير وأطلب من الله أن يسامحه على أعماله وأفعاله ونياته.

وبعد وفاة الوالد، حاولت أن أكون حافظاً له المكانة التي أحببتها وهـــي مكانة الأخ الكبير الذي ما بخلت عليه في يوم من الأيام بأي قدر من الاحترام والتقدير والمحبة، وحتى الآن فإنني والحمد لله ما غيرت هـــذا الأســـلوب ولا حدت عن هذا المنهج، والحمد لله بأن الله وقف معي، ولا أريد أن أخوض في هذا الموضوع أكثر مما ذكرت وعلى الأخص في هذا الفصل بالذات.

علاقتي مع والدي

من خلال عملي في مؤسسة الشلاّح وعلى مدار ثلاثون عاماً، أحاول دائماً أن أستعرض هذه العلاقة من خلال معايشة دامت واستمرت قرابة الثلاثون عاماً تقريباً.

ومع أنه كان نصيبي أكثر من نصيب أشقائي من التقريح والتأنيب فقد كنت أتناسى ما كان يصدر منه من إزعاج يسبب إزعاجاً لي، وكنت أتقبل ذلك بكل صدر رحب وقلب مفتوح.

ولا بد من العودة بالذاكرة إلى الوراء، مستعرضاً بعض جوانب الأمور التي يمكن أن أتذكّرها أولاً أو أن أذكرها ثانياً.

بالإضافة إلى القيام بكل أعمالي على أتم وجه، كنت أعمل جاهداً أن أكون أول من يلبي طلبه، وأن أقوم بكل ما كان يسألني عنه أو يطلبه مني.

1- رافقته في الكثير من سفره ورحلاته، رافقته إلى الولايات المتحدة الأميركية في زيارة جاورت السبع ولايات.
2- رافقته إلى بلجيكا وإلى فرنسا.
3- رافقته في رحلة له إلى إنكلترا.
4- رافقته في عدّة رحلات له إلى الإمارات العربية.
5- رافقته في عدّة رحلات إلى لبنان.
6- رافقته في عدّة رحلات إلى السعودية.
7- رافقته في أربع رحلات لأداء فريضة الحج وذلك عن طريق البر.

أما خلال تواجدي بدمشق فقد كنت أحاول أن أكون ملازماً له في الكثير من الأوقات، في الذهاب إلى الزبداني أو إلى المزرعة العدمل.

وكنت الساعي والملبّي الأول له. كنت الوحيد الذي يجهز له إجراءات السفر وذلك من خلال الحصول على كافة التأشيرات المطلوبة من السفارات. وأيضاً أن أكون أول المودّعين له بتوصيله إلى المطار، وأول المستقبلين له بعد عودته من السفر وإجراء كافة المعاملات المطلوبة سواء الجمركية أو غيرها. وقد كنت أول من يلبي طلباته الخاصة، وتنفيذها كما يطلبها ويريدها. حتى حين قرر كتابة مذكراته، كنت المتابع الوحيد في التحضير والتبويب والطبع والتوزيع بموجب جداول منظمة ولكل الأسماء. وبهذا الأسلوب تمكنت أن أحصل على ثقته وأن أنال رضاه بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

أما في فترة إصابته بكسر في عنق الفخذ، فقد لازمته في مشفى الزهراء بالشارقة لمدّة أسبوعين عدت معه إلى دمشق. وقرر تمضية فترة في المزرعة وكانت فيلّتي مقابلة لفيللته. كنت دائماً إلى جانبه ليلاً نهاراً، ملبياً كل حاجاته واحتياجاته، أما في الليل فقد كنت ملازماً له أنام على كتفه من جديد.

وما طلبت يوماً من إخوتي أن ينوبوا عني، أو يتحملوا عبئاً ولو قليلاً عن ما كنت أقوم به، بل كنت أشعر بأن ما أقوم به هو أولاً واجباً عليّ، وأنه ذلك هو سبيل سعادتي وسروري من خلال رضاه عليّ.

ربما كنت مضحيّاً أكثر من غيري، وربما كنت مبالغاً في التفاني أكثر من غيري، وربما كنت مغالياً في مغاليتي أكثر من غيري، وأنا راضٍ عن ذلك كل الرضاء. والحمد لله بأنني ما كنت أنانياً في يوم من الأيام، بل كنت دائماً أسعى نحو سعادة غيري أكثر من سعادتي لنفسي، وهذه هي قمة الشموخ وقمة العطاء وقمة المكانة عند الله وبين العباد.

والإيثار والتحمّل هم من الصفات التي يحلم الكـثير أن يتحلّـوا بهـا ويطلبوها ولكن وللأسف تبقى بالنسبة لهم بعيدة المنال، حلم لن يتحـول إلى واقع ولو حاولوا المستحيل لتحقيق هذا الحلم.

والذي يؤسفني بل بالمعنى الأصحّ الذي يقلقني على الكثير من الناس هو ذلك الجهل الذي أعمى بصيرتهم وأغلق مداركهم بأن الحياة ليست إلا رحلة قصيرة لا بد لها من أن تنتهي في يوم من الأيام رغماً عنا ولـيس بإرادتنـا، وليست المقابر والتُرب القائمة والتي نراها إلا دليلاً على ما أقـول، فالـذين سبقونا ينتظرونا بكل تأكيد.

أعود مرة أخرى إلى ذكر العلاقة الحميمة التي تربطني بكلاهمـا الوالـد والوالدة. وأثناء تواجدي في دمشق، وأقصد غير أيام السفر خارج سـوريا لا أذكر في يومٍ من الأيام بأنني أمضيت سهرة عائلية عادية مع عائلتي بل كانت سهراتي تتمحور في إطار أن أكون معهما وعندهما، حتى العشاء كنت أتناوله عندهم، وفي أيام الشتاء كنت أجد متعة في أن أقشّر الكستناء للوالدة والـتي تحب تناولها كثيراً، وأيضاً تقشير الكوملي للوالد الذي كان بدوره يحبه كثيراً. وكنت أنتظرهما حتى يخلدا إلى النوم وأرى كل واحد منهم في سريره، وأطفئ نور غرفة نومهما بنفسي بعد تقبيل أيديهما وأنـزل إلى داري الكائن في المبنى ذاته. وأصبحت هذه العملية عادة يومية مثلي كمثل الطالب الذي يتوجـب عليه إنهاء وظيفته اليومية وإن لم يفعل ذلك في اليوم التالي من المعلم سـيكون بانتظاره، والفرق بيني وبين الطالب هو أن ما كنت أقوم به ليس واجباً بـل إحساساً ذاتياً نابعاً من القلب يلفّ هذا الإحساس كل المشاعر الفياضة المليئة بالدفء والعطف والحنان والمودّة والاحترام هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى فلم يكن عقاباً ينتظرني إن لم أقم بما كنت أقوم به، وعوضاً عن المعلم أضع الله جلّ جلاله الذي يرى كل شيء، متطلّع إلى الأمـور بكـل وقائعهـا وأدق تفاصيلها مسجّلاً لك ما تقوم به في خانة الحسنات، خاصة وأنه أوصى بهمـا

وبرعايتهما وخدمتهما وبرّهما قدر المستطاع. وليست ذلك فلسفة ذاتية بل الحقيقة الواقعية لأمور حياتية مهمّة في حياتنا كل الأهمية إلى حدّ المطلق أو إلى ما اللانهاية.

وإيماني بالفلسفة ضعيف جداً، وما أؤمن به هي المعادلة الإلهية والربانية، وهي معادلة غير قابلة للتبدل أو التغيّر وحتى المناقشة، معادلة قائمة بحد ذاتها لها أصول متجذرة في التعامل معها، وغير قابلة لأي غلط أو خطأ، وإن كان هناك ولو نسبة قليلة من الخطأ فإن ذلك سيكون مصدر عذاب وتأنيب ضمير لصاحبه يعيش معه على مدار الساعة وفي كل حين ووقت.

وطبيعة الإنسان هي العامل الوحيد والأكيد والتي ليست إلا عبارة عن مؤشر تعطي صاحبه ردات الفعل تصرفاً وتفكيراً، شعوراً ومشاعر أيضاً، ورضيت بهذه الطبيعة التي كانت مؤشراً لكل تصرفاتي وردات فعلي أيضاً وإلى الذين هم بعيدون كل البعد عن ذلك المؤشر ولا يتمتعون بهذه النعمة الإلهية أقول: إن ذلك من صنع الله بل هبة من الله.

ومن النادر في أيامنا هذه التي نعيشها أن نجد شخصاً يتمنى الخير لغيره أكثر مما يتمناه لنفسه، وأن يقوم بخدمة أي شخص من قلبه وهو قادر على ذلك، فإننا نجده ولسبب ما إن كان ذلك السبب ظاهراً أو خفياً، يتراجع عن ذلك بكل إرادة وتصميم محبذاً أن تكون ذاته هي الأهم وفي الطليعة.

وهناك كرامات وصفات تعطى للإنسان وتكون ذلك نابعة من إرادة الله ومشيئته وليس ذلك من صنع الإنسان أو تحت رهن إشارته أو حسب إرادته. وقد أسمّي ذلك بالهالة، والهالة بحد ذاتها ليست إلا عبارة عن سياج ربّاني يحمي من يحمل هذه الهالة، يظللها الله حول من يحمل هذه الهالة وتكون له دائماً وعلى الدوام سياجاً بل درعاً للحماية لا يمكن نزعه أو حتى اختراقه. أكتفي بهذا القدر من الشرح والإيضاح حتى لا أوصل قارئ هذه الأسطر إلى محور الضياع يصعب عليه فهم ما أقول ويتعذر عليه استيعاب ما أحاول شرحه.

إيماني بالله ما كان في يومٍ من الأيام ضعيفاً، بل كان قوياً لا بل ويــزداد قوة وصلابة بمرور الأيام. ومثلما الحياة حق وهبها الله لنا لنعيشــها، مثلمــا الموت هو حق. وأؤمن أشد الإيمان بعالم البرزخ، وهو عالم يفصل بين الحيــاة وبين الموت، عالم تنتقل إليه الروح الإنسانية لفترة غير محدّدة نهايتها تبــدأ في فناء هذا الكون ومن عليه. والحياة البرزخية حياة قائمة بحد ذاتها لها قصوماتها وقواعدها وتفاصيلها، وهي عبارة عن حياة هلامية إلى حدّ الشفافية الحقيقية. هلامية كلمة مبهمة للبعض ولكن واضحة لمن يعرفها، والهلامية تعني البعد عن التعقيدات والمعاناة، وليس هناك من أي مجال ليفكّر الإنسان ويعانيه مثلمــا يفعل وهو على قيد الحياة، الحياة الهلامية ليس فيها الاضــطراب والخــوف والترقّب، وليس فيها التعب والسعي والجري وراء أمور هي مؤقتة وليســت أبدية أو أزلية، وليس فيها الرق والترقب والتوقّع لأمور هي غير واقعية بل نحن نراها واقعية. والحياة الهلامية هي الخالية من العقد أو أي مشاعر من الغضب والحقد والغيرة والكره أو الأنانية، بل صافية ونقية ورقراقة إلى درجة يصعب وصفها. كل ما نمارسه في حياتنا ليس وارداً أو قائماً في الحياة الهلامية.

ليس هناك أي نوع من القوانين أو المراسيم أو الدساتير.

ليس هناك أي نوع من الضغط أو التحكّم أو الظلم.

ليس هناك أي نوع من الألم والمعاناة والتخبط.

ليس هناك أي نوع من الخوف والجوع والعطش.

ليس هناك أي نوع من الحاكم والمحكوم، الظــالم والمظلــوم، القــاهر والمقهور، الرئيس والمرؤوس، القوي والضعيف، هذه العوامل معدومة وبعيدة كل البعد عن الواقعية أو التواجد.

ليس هناك أي نوع من أوراق تُوقّع، وبضائع تُبضّع، ليس هناك من أي نوع من الحيرة والتحيّر، ليس هناك أي نوع من أي إشكال أو مشاكل.

ليس هناك من مجلات وكتب تُقرأ.

ليس هناك من قوانين تتجاوز.

ليس هناك من أملاك تُملك.

ليس هناك إلاّ الراحة والتحرّر، لـــيس هنـــاك إلاّ الرفرفـــة والتحليـــق والتحلّق...

عالماً هُلامياً ليس له بداية وليس له نهاية.

إنه ليس بالعالم، بل هو كون قائماً بحد ذاته.

وهنا يتبادر إلى ذهني أمر قد يدعو أي إنسان إلى الحيرة وإلى التعجب ألا وهو هي الذاكرة.

نعيش هذه الحياة منذ الولادة طولاً وعرضاً، طفولـــة وشـــباباً وهرمـــاً وشيخوخة، وإذا حسبنا عدد الدقائق والساعات والأيام والأشهر والســـنين فكمّ ستكون المحصلة؟؟؟

وأعود إلى الذاكرة لأقول: تختزل هذه الذاكرة كل ما ذكرت في موجز بسيط وفترة قصيرة مقارنة بأوقات الأحداث التي حدثت والوقائع التي وقعت والأمور التي حصلت.

العمل في الزراعة

صحيح بأن المرحوم الوالد قد قام بإنشاء مزرعة العدمل ولكن كـــان لي ولأشقائي دوراً كبيراً في الانغماس الكلي في العمل الزراعي، والذي لم يقتصر على الإشراف بل القيام بكل ما كان يقوم به أي عامل زراعي، بالإضافة إلى العمل في قيادة الشاحنة (البيك أب).

والزراعة دائماً تحتاج إلى متابعة وتجديد، وأقصد بأن هناك أنواعاً عديدة من الأشجار المثمرة لها عمراً معيناً في العطاء المثمـــر إلى أن تصـــل مرحلـــة الشيخوخة مثلها كمثل ابن آدم بالضبط حينها لا بد أن تزال هذه الأشـــجار وفلاحة الأرض وتركها فترة راحة لمدّة عام مع خلط التربة بالسماد، وكـــان السماد المعمول فيه في ذلك هو خليط من الزبل (غوث الحيوانات) وأيضـــاً زبالة مختلفة.

وزراعة الأرض المستحدثة ليست بالعمل السهل كما يظنه البعض، وشأن ذلك كشأن المولود بالتمام والذي بحاجة إلى عناية وجهد ومتابعة في جميـــع مراحل نموّه.

وبغية زراعة الأرض كان لا بد من مراحل عديدة علينا القيام بهـــا، بالطبع أولاً حفر حفرات الأشجار يسبق ذلك تخطيط الأرض مع علامات من القنّب في كل حفرة لتكون الأشجار بعد زرعها بخطـــوط مســـتقيمة وعلى سوية واحدة والمسافة الفاصلة بين كل شجرة وأخرى هي أربعـــة أمتار.

وكل هذه الأعمال كنت أقوم بها فجراً والطقس قارس جداً. وأذكر بأن الأغراس كنا نقوم بشرائها من مشاتل مختصة أخصّ منها مشتل عرنوس والذي كان يقع على طريق درعا وبجانب شركة الدبس المؤممة. وحتى بعد غرس الغراس كنا نتابع نموّها كل عام وذلك بالتقليم وكثيراً ما كنا نقوم ذلك بأنفسنا ولكل منا له مقصّه الخاص. وحتى حين عملية القطاف فكنّا نشارك العمل في ذلك وأيضاً في التعبئة والتوضيب، كل هذه الأعمال كانت في غاية التعب والإرهاق تحت أشعة الشمس المحرقة.

وتحت ظل شجرة كنا نتقاسم مع العمال والفلاحين طعام الغذاء والذي كان في نظري أشهى الطعام الذي عبارة عن خبز صاج مع الزيتون والجبن والبندورة والخيار. ذكرت كل ذلك حصراً في مزرعة العدمل، وهناك كان مساحات كبيرة قمنا باستصلاحها وزرعها لم تقتصر على الأشجار المثمرة فقط بل أيضاً أشجار السرو والجوز والكينا.

القمر الدين

هذه الصناعة كان جدّي المرحوم سليم الشلاّح أول مؤسسيها، وبالطبع تمّ تطوير هذه الصناعة عبر السنين.

وفي السبعينيات من القرن الماضي، من كان يصنّع القمر الدين يعدّوا على الأصابع، وأقصد من كانوا لديهم مصانع وليس ورشات، أذكر منها محمد الشالاتي والذي كان المنافس الأول لعائلة الشلاّح، وأيضاً عائلة الزبيبي ومعملهم في المليحة، وعائلة أمجد صادق من سقبا، وعائلة رضا البزرة. وبالإضافة إلى إنتاجنا كنا نقوم بشراء كميات إضافية من عدّة ورشات تصنيع المَتاثرة في أرجاء الغوطة، في عربين وحرستا وسقبا وحمورية وبزينة.

وصناعة القمر الدين هي في غاية التعقيد، وبحاجة إلى الكثير من المتابعة والملاحقة بالإضافة إلى الخبرة. وخاصة مراعاة النسب المدروسة التي كنا نضيفها من السكر والقطر الصناعي على مادة عصير المشمش.

وقبل موسم التصنيع بشهر تقريباً كنت أتوجه أولاً إلى قرية القيبة لأرتبط مع العمال والعاملات ودفع رعبوناً سلفاً كان بمثابة ارتباطاً رسمياً، ثم الذهاب إلى كل من جيرود والفمير للغرض نفسه، وكان يصل عدد العاملين والعاملات إلى 150 شخصاً.

وبالطبع بعد وصولهم كان يتم توزيع أماكن النوم عليهم، وكل عائلة تحصر ذاتها في مكان أو غرفة مستقلة ثم يبدأ توزيعهم، وكل فردٍ كان مختصاً بعمل معين عليه القيام به. فالمشرف على آلات العصر، ولا يمكن أن يقوم بأي

عمل آخر. وبالطبع كان التوزيع يتم بنظام الفئات، وكل فئة لها اختصاصها وأعمالها. فئة مختصة في المباخر، وكان يتم وضع المشمش في مباخر قبل العصر للتعقيم والتنقية، وفئة ثانية لمزج السكر والقطر الصناعي مع عصير المشمش، وفئة أخرى لدهن دفوف القمر الدين بمادة زيت الزيتون قبل مدّ العصير عليها، وفئة أيضاً لمدّ مادة العصير على رفوف الخشب.

لذلك كانوا خلية عمل في المعمل، كل فرد يعرف واجبه ويقوم به خير قيام دون أي حاجة إلى مراقبة دائمة، بل إلى قليل من التوجيه بعض الأحيان.

كانت الكميات المنتجة من المشمش في مزارعنا لا تكفي وكنا نقوم ونتّبع أسلوب الضمان، أي نشتري محاصيل مزارع أخرى في الغوطة وخاصة من قرى بزينة ونوله والمليحة وغيرها ونقلها إلى المعمل بالإضافة إلى كميات أخرى نقوم بشرائها من سوق الهال. ثم نوسع شرائنا من مادة المشمش ووصولاً إلى منطقة بين جن في جبل الشيخ والقريبة من القنيطرة.

وأما الآن فإن إنتاج مادة القمر الدين أصبحت محصورة على قلّة قليلة من الأشخاص وفي الغوطة الشرقية بالذات والمنتشرة ما بين بلدات سقبا وجسرين وعربين وبزينة.

ومن خلال انتشار مصانع العصائر ومن مختلف الأنواع من الفاكهة البرتقال والتفاح والعنب والفريز فإن الإقبال على مادة القمر الدين بات معدوماً في وقتنا هذا.

أما بالنسبة لربّات المنازل في عصرنا الحالي، فإن المطبخ بالنسبة لهم مكان لتحضير القهوة والشاي، أما الطهي أو الطبخ فقد بات نسياً منسياً، ووجدن هؤلاء النسوة كل أسباب الراحة والرفاهية من خلال المطاعم المنتشرة ومحلات الوجبات السريعة بأسلوب الـ Delivery إلى المنازل. وأقف إلى جانبك أيها الرجل لما تتحمله من أعباء مادية ومن نفقات جعلت منك ضحية تستحق كل الشفقة والرحمة ودعاء من القلب لك ألا وهو: كان الله معك وفي عونك...

كان التموين أسلوباً ومنهجاً وعملاً لربات البيوت في زمـــن أجـــدادنا وآباؤنا. وكلمة (المونة) لها كل اهتمام والمشتقة من كلمة التموين. كانـــت للمونة غرفة خاصة في الدار. تموّن وتحفظ فيها جميع أنواع المـــأكولات مـــن كبب ومعجنات والخضار بكافة أنواعها إضافة إلى جميع أنـــواع الحلويـــات العربية المعمول والبرازق والغريبة.

جيلنا الحالي هو جيل الطلبات الخارجية الجاهزة.

جيل المواقع الإلكترونية والمكالمات الخليوية.

جيل الراحة والاسترخاء وحياة العزوبية.

جيل الآفات والأمراض. جيل الحضارات الحيوية.

الزبداني

لا بد لي أن أعطي هذه البلدة حقها في كتابـــي هذا لما لها من ذكريات من الصعب أن أنساها سواء في فترة طفولتي أو في مرحلة شبابـــي.

الزبداني هي من أهم مناطق الاصطياف السورية والتي تبعد عن دمشـــق 50 كم، إضافة إلى ثلاث بلدات قريبة منها وهم بلودان وبقين ومعنايا. ولكل بلدة لها منعة خاصة. وبلودان كان يرتادها الكثير من الشخصيات السياســـية والفنية ومنهم الفنان محمد عبد الوهاب وفندق بلودان الكبير والذي مـــا زال قائماً حتى يومنا هذا كان وما زال معلماً من معالم هذه البلدة.

أما بقين فإنها اشتهرت بنبعها ومياهه العذبة والذي ما زال حتى هذا اليوم نبعاً تتدفق فيه المياه وقد أنشأ معملاً لتعبئة المياه وذلك لاستثمار هذا النبع.

أما بلدة معنايا فقد عرف عن أهلها بالمزارعين ثم تحوّلت إلى مركزاً تجارياً للبضائع المهربة لقربها من الحدود اللبنانية، وكانت بلدة فقـــيرة مقارنـــة إلى بلودان والزبداني وبقين. وقد كان يردّد المثل الذي يقول: بلـــودان للأمـــراء والزبداني للوزراء وبقين للمرضاء ومعنايا للفقراء.

قرر المرحوم والدي في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي الاستثمار في الزبداني، وبدأ بشراء الأراضي الزراعية والتي كانت جبلية وبالذات في منطقة (حاليا) والتي تقع ما بين الزبداني وبلودان.

في تلك الفترة بالذات وكان لنا داراً صيفياً في الزبداني من ثلاثـــة أدوار وما زال قائماً حتى يومنا هذا وفي طلعة مبنى البريد وكانت لها تسمية غريبـــة

وهي طلعة (زعطوط). في هذا الدار أمضيت أجمل أيام طفولتي في أشهر الصيف والاستمتاع في ركوب الدراجات كانت الأمنيات الحالمة التي تحولت إلى وقاع نمارسه ونعيشه. الدور الأول كان يقطنه عمي المرحوم شفيق الشلاّح وعائلته وكنا نحن نقطن في الدور الثاني أما الدور الثالث فكان مخصصاً لشقيقاتي وأزواجهم.

وبكل دأب وإصرار وعمل متواصل استطاع المرحوم والدي أن يحوّل منطقة حاليا الجبلية إلى منطقة زراعية بامتياز وفق أحدث الأساليب وتم تخطيطها وزراعتها بشتى أنواع الفواكه الإجاص والتفاح والخوخ والعنب. وقام أيضاً ببناء مركزاً للتوضيب والتعبئة ثم أتبعه ببناء برادات لحفظ الفاكهة. ولم يقتصر الإنتاج على نوع واحد من المنتج، فمن الإجاص كان هناك عدّة أنواع الدوشيز واللنكولين والمسكاوي، والكولون والستركن من التفاح. وكنا في كل موسم نأتي بورشة مختصة لفرز وتعبئة هذه الفاكهة وبأت منتج هذه المزرعة الصغيرة النموذجية من أشهر المنتجات التي كانت تباع فور وصولها إلى دمشق من قبل تجار الفاكهة في سوق الهال.

وإلى جانب الأعمال الزراعية، تم إفراز بعض الأراضي إلى مناطق عقارية والتي دخلت ضمن المخطط التنظيمي. ومن خلال سمعته العطرة وعمله الدؤوب استطاع أن يستقطب العديد من رجال الأعمال والوجهاء أن يقوموا بشراء الأراضي المنظمة وإشادة داراً صيفية. وأذكر منهم على سبيل المثال المهندس خليل الفرا وشقيقه محمد، وأيضاً الطبيب السوري المغترب مأمون المهايني وأيضاً رئيس وزراء سورية الأسبق المرحوم صبري العسلي إضافة إلى المرحوم توفيق حبوباتي تلك الشخصية الدمشقية المعروفة والذي كان من أقطاب السياحة حيث استثمر فندق بلودان الكبير لسنوات عدّة وصاحب مطعم نادي الشرق الشهير في دمشق، إضافة إلى عائلات عديدة أذكر منها عائلة الكوسا والعقاد ودعدوش وغيرهم. ولا بد من الذكر بأن كل الأعمال

الإنشائية التي تمت سواء فتح الطرقات والآبار قام المرحوم بها بجهده الشخصي وعلى حسابه الخاص. واستطاع أن يجعل من هذه المنطقة جنة غناء.

ومن خلال علاقاته استطاع أن يستقطب لهذه المنطقة الكثير من رجال الأعمال العرب في دول الخليج، وقام ببناء قصر ضخم لرجال الأعمال السعودي حسن الشربتلي والذي ما زال شامخاً حتى يومنا هذا إضافة إلى رجال أعمال من دولة الإمارات منهم سيف الغرير وجمعة الماجد.

وأكبر صرح قام به متوجاً هذه الأعمال هو بناء جامع الشلاّح.

ولم تكن غايتي من كل ما ذكرت إلاّ أن أبين وأوضح عن عظمة هذا الإنسان، والذي استطاع بجهده الشخصي أن يقوم بما قام به والتي تعمر دولة بكاملها أن تقوم به. رجالات فذة وشخصيات شامخة أمثال هؤلاء التي آمنوا في خيرات بلدهم وكانوا لهذا البلد عنواناً للوفاء والحب، بذلوا الجهد والتعب والمال في سبيل هذا الوطن.

بمثل هؤلاء الأفذاذ يفتقد الوطن، ولمثل هؤلاء المخلصين يحتاج هذا الوطن رجالات آمنوا بالبناء والإعمار وليس بالخراب والدماء كما يحصل الآن.

وقد كان لي نشاط في مجال العقار إلى جانب أعمالنا الزراعية التي أتيت على ذكرها آنفاً. وقد شيّدت على قطعة أرض قرب جامع الشلاّح فيللا من طابقين بغية الاستثمار وقد تم بيعها فور الانتهاء من إشادها وقد تسرعت في هذا العمل ولو انتظرت عامين آخرين لكان العائد أكبر. ثم افتتحت مطعماً في ساحة الشلاّح وبشراكة مع شقيقي الدكتور سليم تحت اسم "التنور". وإدارة المطعم له شجونه ومشاكله حيث يحتاج إلى تفرغ كامل مما اضطررت إلى بيعه إلى شخص له الباع الطويل في هذا المجال وما زال يعمل حتى يومنا هذا يقدّم أطيب وجبات المعجنات على جميع أنواعها.

البدء من جديد

قبل وفاة المرحوم الوالد بعامين تركت المكتب التجاري والذي كان بشراكة كل من شقيقي الأخ راتب وابن عمي الدكتور موفق الشلاّح.

وبعد وفاة المرحوم الوالد وجدت نفسي بأنني ملزماً أن أبدأ من جديد ولكن دون أي أساس متين أرتكز عليه.

وبقيت ثلاثة أعوام في الدار أدير الاتصالات والمراسلات من خلال الدار وبواسطة الهاتف والفاكس.

وكان لا بد لي أن يكون لي مكتباً تجارياً خاصاً، واتصلت بمكتب عقاري يملكه الأخ زياد الحفار (أبو غزوان) وشرحت له طلبي وعلى أن يكون في منطقة المزة والتي تمتاز في هدوئها نسبياً وقلّة الزحام مقارنة إلى باقي المناطق التجارية وسط المدينة والتي أصبحت لا تطاق وخاصة من الناحية المرورية وازدياد أعداد السيارة في الأعوام الأخيرة.

ووفقني الله في مكتب في شارع الفارابي في منطقة المزة الشرقية، وبدأت في العمل في مجال الأراضي والعقارات من جهة، وأيضاً في الحصول على وكالات جديدة.

الأبناء الأعزاء بشر وخالد وبعد العودة لدمشق وإنهاء دراستهم وتخرّجهم من سويسرا ولبنان، اختار كل واحد منهم أن يعمل في اختصاصه وبشراكة أخوية حقيقية مبنية على أسس متينة وتفاهم كامل وتناغم رائع.

الابن بشر فتح موقعاً جديداً على الإنترنت وهو موقع (مصادر) ويختص هذا الموقع بالأخبار الاقتصادية البحتة مع مقابلات دورية لرجال أعمال سوريين وأيضاً لمسؤولين اقتصاديين في الحكومة السورية، وأيضاً بالإضافة إلى تعاونه مع شقيقه خالد في شركة خاصة بهم تعمل في مجال التسويق والإعلان وإلى وكالات لشركات أجنبية جديدة لم تدخل السوق السورية من قبل.

ومن الغباء القول بأن العلم ليس ضرورياً للشباب في هذه الحياة حيث انتشرت مقولة (الوظيفة لا تطعم خبزاً). وليس من الضروري على كل من تعلّم أن يلتحق بالوظيفة، بل من خلال شهادته العلمية التي حصل عليها ومن المعلومات التي اختزنها في عقله يمكنه أن يفتح آفاق جديدة وعملاً خاصاً ومستقلاً ليس بالضرورة أن يكون عملاً وظيفي، ولكني لا أنكر القول بأن مساعدة الأهل شيئاً لا يمكن الاستغناء عنه سواء من الناحية المادية إن توفرت أو من الناحية التوجيهية والتي هي الأساس والمرتكز، مقروناً ذلك بالأخلاق والمبادئ التي تم زرعها فيهم منذ الصغر بالإضافة إلى الالتزام الأخلاقي في التعامل سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو التجاري.

وهنا أتوقف عند رأياً خاصة أود أن أتعمق فيه ألا وهو الكلمة الرائجة وهي (رجل أعمال) والتي أصبحت هي الرائجة والمتداولة في هذه الأيام في الأوساط التجارية والاقتصادية.

وكلمة "رجل الأعمال" لم تكن متداولة أو متواجدة قبل نصف قرن من الزمن بل كلمة تاجر هي الكلمة التي كانت منتشرة وأيضاً الصفة المثلى لكل من تعاطى الشراء والبيع أو التصدير والاستيراد. وفجأة ظهرت هذه الكلمة إلى العلن في أيامنا هذه وهي كلمة رجل أعمال. وأنا برأيي الشخصي لا أجد معنى حقيقياً لهذه المفردة، وكلمة رجل أعمال هي كلمة شاملة وعامة، بل كل إنسان على وجه الأرض هو رجل أعمال طالما يقوم بالعمل الذي يتقنه سواء كان في مجال الحلاقة أو الكهرباء أو الهندسة أو الزراعة أو الصناعة،

وليس من الضروري أن تكون هذه الكلمة مقصورة أو محصورة في رجال الاقتصاد أو المال فقط. ولكن وللأسف فإن ما نرى في أيامنا من أمور تدعو إلى العجب والتعجب يقودنا إلى المزيد من الضياع سواء في المفردات أو المصطلحات وحتى التصرفات. ونرى حالياً تصرفات لا يقبلها عقل أو منطق، وهي تحصل من قبل أن يصل إلى ما يصبو إليه بطريقته الخاصة من جهة، وبسرعة الصاروخ من جهة ثانية.

1- يريد أن يتزوج وهو في أوائل العشرينات من عمره.
2- يريد أن يمتلك سيارة من أحدث الموديلات.
3- يريد أن يمتلك منزلاً في المدينة ومفروش بأحدث المفروشات ومجهّز بأروع التجهيزات.
4- يريد أن يمتلك خارج المدينة سواء في يعفور أو في إحدى مناطق الأرياف.
5- يريد أن يكون رصيده في البنوك متجاوزاً مئات الملايين من الليرات.

وأين يكمن الجواب لسؤال يدعو إلى التعجب والاستهجان: كيف سيستطيع ذلك أن يحقق كل ما ذكرته وخلال فترة وجيزة؟؟ يمكن ذلك في أساليب ملتوية وهذه الأساليب لها الكثير من طرقها، منها الاقتراض وأيضاً الضحك على ذقون الناس كما يقول المثل الشعبي أو بالاحتيال والنصب والخداع والكذب.

ولا أعتقد بأن ما عدّدته سابقاً هو المعنى الحقيقي للسعادة والوصول إلى النقطة المرجوّة ليعيش الإنسان حياة كريمة وسعيدة وهانئة وقمة الغباء هي الاعتقاد بأن الإنسان تكمن سعادته الحقيقية في فيللا رائعة أو سيارة فارهة. بل النعمة الحقيقية هي في أن يكون الإنسان مكتفياً وقنوعاً وأن تكون "صحّته عليه" كما يقولون وأن يتوقف عن شكر الله ما أعطاه من نعم لا تعد ولا تحصى، وأتذكر الآن دعاء لا يفتر لساني عن ذكره: ﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أعود إلى موضوع الأبناء الأعزاء، والحمد لله بأنني أقمت بواجبي تجاههم خير قيام وأن لساني لا يفتر عن الدعاء لهم بالصحة والعافية والتوفيق والنجاح، وهذه هي السعادة الحقيقية في الحياة الفانية، وحين يترك الإنسان إلا ثلاث: علم ينتفع منه، أو صدقة جارية، أو ولداً صالحاً يدعو له. والدعاء هنا لا يأتي من الولد فقط، بل من خلاله ومن جميع الناس حين يقولون: (رحم الله والدك) ولأنه ولد ناجحاً وصالحاً يدعون لوالده بالمغفرة والرحمة.

غباء منا حين ننسى أو نتناسى بأن الحياة متاع الغرور، وبأنها مهما طالت فلكل بداية نهاية، وليست الحياة إلا مشواراً أو طريقاً علينا أن نمشي به وأن نسير عليه ولكن ليس إلى ما اللانهاية، فأين الأجداد وأين الآباء؟؟ ونحن والأبناء وحتى الأحفاد سيجمعنا مصيراً واحداً ولا مفرّ من ذلك إن شئنا أم أبينا.

ولا يمكن اختصار هذه الحياة إلا في حفرة صغيرة لا تزيد مساحتها أكثر من ثلاثة أمتار مربعة.

الحياة

قد يكون هذا الفصل من هذا الكتاب هو الفصل الأخير، وهو يذكرني عنوان هذا الفصل بسؤال وجهه لقمان إلى أبيه سيدنا سليمان: ما هي الحياة يا أبتاه؟؟

أجابه سيدنا سليمان: (إنها يا بني قصيرة جداً، تدخل إليها من باب وتخرج منها من باب آخر).

والإنسان في اعتقاده بأنه وبإمكانه أن يضحك على هذه الحياة وأن يفعل بها ما يشاء وأن يقوم دائماً بما يريد القيام به ولكن الحقيقة تكمن بأن الحياة هي التي تضحك علينا، ومشيئة الله هي التي تجعلنا القيام ما نقوم به.

كان ولعي وما زال هما متعتان تعلّقت بهما كل التعلق ومارستهما الممارسة الحقيقية والفعلية النابعة من القلب، المتعة الأولى هي الكتابة، والمتعة الثانية هي القراءة.

فيما يخصّ المتعة الأولى، فما كنت في يومٍ من الأيام كاتباً أو أديباً أو فقيهاً بل تولعت بهذه المتعة كونها أسلوب تعبير أولاً، والطريقة المثالية لأن يفرغ الإنسان ما في داخله من أحاسيس ومشاعر ثانياً.

وأما المتعة الثانية وهي القراءة، فإن ما قرأته في حياتي من كتب يتجاوز عددها الآلاف. كان وما زال شغفي أن أقرأ الكثير من الكتب وعلى أنواعها، الأدبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى دواوين الشعر.

قرأت الكثير من السير الذاتية، وأذكر على سبيل المثال الرؤساء ورؤساء الحكومات ورؤساء الوزارات والوزراء والضباط.

وأصل إلى سؤال: من يقرأ؟؟؟ وهل يمكن أن نجد في يومنا هذا من يحب القراءة؟؟ وخاصة في تواجد التلفاز والحاسوب والإنترنت؟؟؟

وجوابـــي على هذا السؤال هو: نعم.

هناك من يقرأ وهناك من سيقرأ.

ولطالما المطابع تعمل، ولطالما المكتبات قائمة ومنتشرة فإن القارئ سيبقى متواجداً ولا خوف عليه. سيبقى القارئ هو الأهم ولطالما العلم منبعه القراءة فإن هذا النبع ما توقّف مرة ولن يتوقف.

خواطر من قصص واقعية

آراء في مقالات شخصية

الطربوش

ما نحن عليه وما وصلنا إليه لم يأتِ من فراغ...

الأسباب متعددة ومتشعبة، بدّلنا نمط حياتنا وأسلوب تعاملنا وغيّرتا جلدتنا بإرادتنا...

جشعنا هو الذي أوصلنا إلى وضعنا، فأضعنا قيمنا ورموزنا، بات الصدق كذباً والقناعة طمعاً، والرحمة ظلماً والاحترام احتقاراً، والتضحية أنانية والحب كراهية...

وما دخل الطربوش هنا؟

كان الطربوش رمزاً للوقار والإجلال، لهيبة والرجولة، ولكن بدلنا مكانه ومكانته ورمزيته، وتحول من رمز إلى أسلوب، كان رمزاً على الرؤوس وأصبح أسلوباً في التعامل، نبدل طرابيش بعضنا البعض من رأس إلى آخر للوصول للغاية المرجوة...

حدثت هذه القصة الواقعية منذ ربع قرن:

دخل أحد التجار المرموقين إحدى المصارف ليصرف شيكاً، والطربوش الذي على رأسه يرمز إلى صفات الرجولة والهيبة.. طلبت منه الموظفة بطاقته الشخصية، ولسوء حظه وجد أنها ليست في جيبه..

قال لها: المعذرة يا ابنتي فالبطاقة ليست معي..

أجابته: الشيك يصرف لحامله فقط والبطاقة ضرورية.

رد عليها: طربوشي هو بطاقتي، وخلع طربوشه ووضعه على طاولتها، استغربت تصرفه، وتوجهت إلى مكتب مدير المصرف وروت له الحادثة.

ضحك المدير وقال لها: هل اسمه فلان (....)؟ قالت: نعم لكن كيف عرفت اسمه؟

قام المدير من وراء مكتبه وتوجه إلى ذلك الرجل مرحباً ومصافحاً ومعتذراً قائلاً له: أهلاً بك، من لا يعرفك يجهلك وطربوشك على رأسنا أيضاً، وأمر بصرف الشيك له على الفور.

هذا هو الطربوش الذي نفتقده.. الطربوش الرمز وليس طربوش الغمز واللمز. الطربوش الذي يرمز إلى قيمنا الوطنية وأصالتنا السورية. إلى سوريانا وسوريتنا التي هي بطاقتنا الشخصية.

إنه الزمن الصعب الذي نعيشه...

الزمن بين جيلين، جيل الآباء وجيل الأبناء...

جيل الطرابيش وجيل الخفافيش..

جيل الزيت والزعتر وجيل المناقيش...

على عينك يا تاجر

هذا القول الشائع ما من أحد منا إلا ردده.......

هل حاولنا أن نعرف فحوى هذا القول؟

على عينك يا تاجر تقال عن كل من أقدم على فعل دون حياء أو خجل

على عينك يا تاجر تقال عن كل من أساء وأخطأ دون رادع أو ضابط

ولماذا عين التاجر دون سائر الأعين؟؟؟؟؟؟؟؟

لأن عين التاجر ترمز إلى الصدق والإخلاص

لأن عين التاجر ترمز إلى العفة والعصامية

لأن عين التاجر ترمز إلى الهيبة والشفافية

لأن عين التاجر ترمز إلى المبادئ الإنسانية

لأن عين التاجر كانت خط أحمر لا يجرؤ أحد أن يتجاوزه بفعل طائش أو عمل أو تصرف أرعن..

فسادنا كسر كل القواعد وداس على كل القيم وعلى عينك يا تاجر

جشعنا وهمنا تخطى كل الحدود وعلى عينك يا تاجر

حقدنا وغيرتنا فاقت كل الوصف وعلى عينك يا تاجر

أيها الأخ العزيز أيها التاجر

إن كنت تاجراً شريفاً سيبقى رأسك مرفوعاً عالياً

إن كنت شهماً وأبياً ستبقى شامخاً وعزيزاً

غرفة واحدة كانت وما زالت تمثلنا هي غرفة التجارة لم تكن صالوناً أو بهواً أو هيئة أو مجلساً أو إدارة أو مؤسسة أو شركة بل غرفة.

غرفة التجارة غرسة غرسها الأجداد وسقاها الآباء والتاجر الشريف هو رمز للمبادئ والقيم. والتاجر ليس عالة على دولته يدفع ما عليه من ضرائب وقيمة سيارته ووقود خزانها من جيبه الخاص وليس مثل غيره عالة وعبئاً على الغير بسيارة يركبها ووقود يحرقها..

كل تاجر شريف يجب أن يكون فخوراً بما هو عليه وأمام الملأ دون أي خجل وعلى عينك يا تاجر.

فخور أنا بأنني تاجر وحفيد لتاجر وابناً وأباً لتاجر بكل الفخر أقول ذلك وعلى عينك يا تاجر وستبقى هذه العين هي العين الحنونة والرانية والرؤوفـــة لهذا الوطن ولكل الناس قبلة احترام وتقدير أطبعها على عينك أيها التاجر أمام كل الناس وعلى عينك يا تاجر...

نور الدين الحكيم

الاسم: نور الدين ملا رسول

العمر: 50 عاماً

الراتب: 125 ل. س شهرياً

الزمن: عام 1965

نور الدين إنسان جمع البساطة في مهنتين السواقة والحكمة وكان يعمل سائقاً لدى والدي.. في طريقنا إلى الزبداني في ذلك الزمان وجهت له 3 أسئلة... سؤالي الأول كان له أن كان راتبه يكفيه فأجابني وهو يقود السيارة: 50 ليرة مصروف البيت و25 ليرة مصروفي الشخصي للدخان والسينما و25 ليرة أجار البيت و25 ليرة للإدخار.

كان سؤالي الثاني: هل أنت سعيد في مهنتك؟

أجابني: من قال بأن مهنتي سائقاً فقط؟! فأنا حكيم قبل أن أكون سائقاً وإن كان المثل يقول: خذوا الحكمة من أفواه المجانين فإنني أقول خذوا الحكمة من السواقين... وبسبب حبي لكم أعمل سائقاً عندكم.

أما سؤالي الثالث فقد كان: هل أنت سعيد في حياتك؟

أجابني: أنا أسعد من الملك ولله الحمد.

أعقبت قائلاً: وهل يقول لك الناس "طال عمرك" كما يقال للملوك؟

فأجاب ضاحكاً: هذا هراء في هراء، أولاً من الأعمار بيد الله ومن يقول لك طال عمرك بلسانه فإنما يقول "الله يقصف عمرك في قلبه".

بالإضافة إلى هموم الملك التي يعاني منها خاصة المنافقون والوصوليون والمتآمرون.. ألم أقل لك بأني حكيم؟؟

ثم أردف قائلاً: خذ هذه الحكمة.. خبزه وجبنه ووراها (كنة) ولا خروف محشي ووراه (طنه).

رحمك الله يا نور الدين الحكيم ويا ليت زماننا يعود للوراء ونعيش زمانك.

لو عاد ذلك الزمان لكانت الابتسامة تعلو شفاه كل الناس والقناعة مغروسة في الشعور والإحساس ولا وجود للفساد والسرقة والاختلاس. والحكمة الصادقة لصدرت من أفواه السواقين وليس المجانين والمنظرين...

كن مع أها هذا الزمان يا رب فأنت لهم خير معين وبك نستعين.

الوزير... والشرطي أبو أحمد

جرت أحداث قصتي في ساحة فكتوريا في أواسط الستينيات من القـــرن الماضي.

كان الشرطي أبو أحمد هو الإشارة المرورية، حيث ينظم السير بحركات يديه المنتظمة، أداء أتقنه وأجاده، حتى بات أبو أحمد علماً من أعـــلام هـــذه الساحة. وما اختلف أداؤه الوظيفي طوال عشرين عاماً تحت الشمس المحرقـــة صيفاً وتحت الأمطار شتاءً.

ولسوء حظ أبو أحمد أنه أوقف السير بوصول سيارة الوزير إلى الساحة، وكان وزير الداخلية يدعى محمد عيد عشاوي. طلب الوزير من ســـائقه أن يحضر الشرطي أبو أحمد لمقابلته. رفض أبو أحمد طلب السائق قـــائلاً: قـــل لوزيرك إنني أؤدي عملي.

أمر الوزير أن يزوره الشرطي بعد انتهاء دوامه.

توجه الشرطي أبو أحمد إلى الوزارة وطلب مقابلة الوزير، فأجابه مـــدير مكتبه: أنت تريد مقابلة الوزير؟

أجابه أبو أحمد: بل العكس هو من أراد مقابلتي...

دخل الشرطي أبو أحمد وأدى تحية الاحترام قائلاً: أعتذر منك سيدي الوزير على تصرفي حين استدعيتني، لأنني لم أستطع ترك مكاني، ولو فعلت لعمّت الفوضى في هذا المكان من أربعة منافذ مرورية تصـــب في هـــذه الساحة المزدحمة.

سرّ الوزير من جواب الشرطي أبـــي أحمد وفتح درج مكتبـــه وقـــدم للشرطي ثلاثمائة ليرة سورية مكافأة إضافة إلى كروز دخان.

بكى الشرطي أبو أحمد وهو خارج من مكتب الوزير من فرحه.

بكى لأنه وجد التقدير من وزيره.

بكى لأن المكافأة كانت تعادل راتبه لثلاثة أشهر.

بكى لأنه باع كروز الدخان براتب نصف شهر...

ورحم الله الثلاثة.

رحم الله الوزير عشاوي..

رحم الله الشرطي أبا أحمد الذي روى لي هذه القصة..

رحم الله القيم والأخلاق التي ماتت... ورحلت..

لقد رحلت برحيل الوزير والشرطي..

رسالة إلى المدير العام

الأخ العزيز محمد الخطيب المحترم

أهنئك على مقالك "نور لا يموت" في العدد 146

وتوجهك إلى أصحاب القرار بإفساح المجال للشباب أن يعمل وبإعطائهم الثقة هو توجيه محق وصائب.

عزيزي محمد،

دخلت الحياة العملية في عام 1969 وكنت شاباً يافعاً لم يتجاوز 23 عاماً، بقيت عشرة أعوام وأنا تحت جنح والدي رحمه الله أعمل بناء على نصائحه وتوجيهاته، كنت أجد اللذة لكل الأجوبة منه لأسئلة كنت أملكها.

في أحد الأيام طلبني إلى غرفة مكتبه وبادرني بقوله:

آن الأوان أن تكون صاحب القرار، أعطِ نفسك الدراسة الكافية ليكون قراراً صائباً، مكانتي عندك أعرفها ومحبتك لي أقدرها ورضاي عليك قد نلته وحصلت عليه، وإن أردت النصيحة فستجدني دائماً إلى جانبك.. ولأول مرة شعرت بعظمة هذا الرجل فقد كان دائماً إلى جانبي، خيمتي التي أحتمي بها وحائطي القوي الذي أستند عليه وبرعت ونجحت ولله الحمد في جميع مجالات العمل، إدارة وزراعة وتجارة وصناعة وعقاراً.

اتبعت الأسلوب ذاته مع أبنائي، حصلوا على شهادتهم الجامعية ودخلوا الحياة العملية دون أي تدخل مباشر مني ولست لهم الآن إلا الأب المحب والناصح أفخر بنجاحهم وأسعد لسعادتهم.

عزيزي الأخ محمد،

الحياة استلام وتسليم والشباب هم عماد المستقبل.

حين أقرأ مقالاتك أشعر بالسرور والسعادة، قد تخطئ بعد الأحيان في نظر البعض ولكن تبقى مثالاً رائعاً للشباب في الجرأة والطموح وطرح الأفكار.

يكفيك صراحتك في كتاباتك...

يكفيك صدقك وغيرتك لبلدك..

رحم الله إبراهيم حمور جدّك..

وصدق من قال: الولد البار ثلثاه للخال....

مع فائق محبتي لك.....

فن التعامل..

"1" أحب أحد الشباب فتاة وأراد أن يتزوجها، ذهب إلى والدها ليطلب يدها، طلب والدها منه أن يعطيه ثلاث وقائع نعيشها على أن تنتهي كل واقعة بكلمة لا، وستكون الفتاة من نصيبه ولأن الشاب كان يملك ويتقن فن القول نجح قائلاً:

على ظهر كفك يوجد شعر أما في باطن كفك فلا...

ابن ابنك لك أما ابن ابنتك فلا...

كل إنسان راض بعقله أما بعقل غيره فلا...

"2" توفيت والدة أحد الملوك واحتار الرعية كيف يخبرونه بهذا الخبر السيئ، ولأن أحد الرعية كان يتقن فن القول والتعامل أخذ قطعة قماش ووضعها تحت إبطه ودخل إلى الملك قائلاً:

السلام عليك يا ملك الوفا هب النسيم وسراجك المنير انطفأ.. صاح الملك هل ماتت أمي؟...

أجابه الراعي: إنني صاحب ذمة تكفنّي تحت كمي الحمد لله طلعت من تمّك ما طلعت من تمّي....

كم نحتاج إلى الظن هذا والذي هو أهم من باقي الفنون

إنه فن التعامل.... في الأخذ والعطاء

إنه فن حسن التصرف....

هذا الفن مبني على الكلمة حين تقال في الوقت الصَّح والأسلوب الأصّح...

كم من كلمة فرقت وكلمة أخرى جمعت..
كم من كلمة أكسبت وكلمة أخرى خسّرت..
اللهم علّمنا حسن التصرف وقول الكلام....
وخير الكلام ما قلّ ودل.....

نحنا لبعض... ولا يهمّك

أعجبت بالمقال الذي كتبه الأخ العزيز محمد الخطيب في العدد 141 والذي كان بعنوان التاجر الاستغلالي وأقول:

عزيزي الأخ محمد...

بدأت مقالك بعنوان كنت محقاً وصائباً فيه.

ألا تشاطرني الرأي بأن هناك صفة جديدة أخذت مكانة التاجر، ألا وهي كلمة "رجل أعمال" تلك الكلمة التي حلت مكان التاجر وجرّدته من صفات ترمز حروف كلمة التاجر إلى أروع المعاني:

التاء: تعني التقى.

الألف: تعني الأمانة.

الجيم: تعني الجرأة.

الراء: تعني الرأفة.

ومن آخر هذه الصفات، وهي الرأفة أبدأ بسرد قصتي، والتي قد تشفي غليلك على حد سواء:

في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي سوق هال مدينة دمشق بالذات كان هناك تاجران شهد لهما الوسط التجاري آنذاك بالتربع على عرش مهنة التجارة، سمعة وشطارة ونفوذاً، إلا أن الرابط الوحيد الذي جمعهما هو التنافس والتناحر الدائمان، فجأة وقع أحدهما في حال إفلاس نتيجة عملية استيراد خاطئة سببت له خسائر فادحة لم يقوَ على تحملها.

وفي أحد الأيام وبينما هو جالس وراء مكتبه في دكانه، شاهد طناجر البطيخ تفرغ حمولتها أمام دكانه، سأل واستهجن واستعمل، وقيل له إن فلاناً قد أرسل له هذه الحمولة... أي منافسه....

اتصل به مستغرباً ومستفسراً فأجابه منافسه نحنا لبعض... ولا يهمّك، قم ببيع البضاعة وابدأ من جديد.

عزيزي الأخ محمد: إنه استغلال من نوع آخر، الاستغلال الذي نريده لنا ولهذا الوطن، الاستغلال المبني على المحبة والإيثار والرأفة "نحنا لبعض ولا يهمك"، قالها تاجر وليس رجل أعمال..

رحم الله من قالها

يستحق الرحمة من القلب

دعوة من قلب حفيده

إنه جدي سليم الشلاّح

إشارة خمس نجوم

إنها ليست إشارة من إشارات المرور.....

إنها إشارة خمس نجوم

إليكم قصة واقعية، فقد عشتها وعلى من يقرأ أن يحكم.

الكل يعرف عروس المصايف الجميلة واسمها الزبداني والتي جرت أحداث قصتي فيها وعنها:

منذ أربعين عاماً، قامت الجهة بوضع إشارة (حديقة عامة) على أربعة عقارات في منطقة حاليا، هذه الجنّة من جنات الله على الأرض، اشتراها زيد من الناس، كانت أرضاً صخرية وشوكية ووعرة، حوّلها هذا الشخص إلى مصيف نموذجي وزيّنه ببناء مسجد على نفقته حمل اسمه. وانتقل زيد إلى جوار ربه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ وبقيت أيضاً الإشارة..

اعترض أبناء زيد وحكم لهم القاضي برفع الإشارة..

هتف الأبناء: تحيا العدالة وانتصرنا على الإشارة..

قيل للأبناء: العدالة لدى اللجنة والإشارة ستبقى...

لجأ الأبناء إلى جهة أعلى: إلى ثلاثة محافظين تعاقبوا على مدى عشر سنوات تسلّموا وسلّموا..

عشرات الكتب والإحالات والإشارات بقيت..

عشرات المواعيد والزيارات، واللجنة نائمة والإشارة باقية..

حكم القاضي لم ينفذ... والحديقة لم تنظم... والحق لم يسترد والإشارة باقية. واللجنة لم تعقد جلستها.

حاول الأبناء وبالمنطق الذي يقول إن ليس ما حصل هو العدل ولكن لا حياة لمن تنادي...

ارتاح زيد منذ 12 عاماً وانتقل إلى جوار ربه، واللجنة ما زالت نائمة حتى يومنا هذا.

هل أخبركم عن أوضاع العروس وحالتها وماذا حلّ بها؟

وأقصد عروس المصايف الزبداني؟

إنها ما زالت عروساً ولكن أصيبت بالعنوسة.

لقد تقدّم ثلاثة عرسان لطلب يدها في حياتها:

العريس الأول هو زيد الذي أحبّها بكل إخلاص وقدّم لها الغالي وَالرخيص في إسعادها ومن أجل جمالها وضحّى لها.. ومن أجلها.

العريس الثاني هو الجهة التي وضعت الإشارة والتي أساءت إلى سمعتها وشوهت صورتها وحاولت خطفها..

العريس الثالث هو من غيّر معالمها واغتصبها وحاول قتلها وأداة الجريمة واضحة وضوح الشمس، إنها مخالفات البناء التي شيدت في الأشهر الأخيرة التي مضت.... دون أي تراخيص... أما بالنسبة للأبناء.... اللجنة ما زالت غائبة والإشارة باقية...

العريس الأول انتقل إلى رحمة الله..

والعريس الثاني ما زال غائباً وغير مبال..

والعريس الثالث بقي قائماً وشامخاً..

أين أنت يا سيدي، أين أنت أيها الإصلاح؟

فالإشارة ما زالت باقية... إنها إشارة خمس نجوم...

بدأت بالإشارة وأختم بالإشارة، واللبيب من الإشارة يفهم..

قبل فوات الأوان

تعرفت على الأخ الدكتور عادل سفر رئيس مجلس الوزراء منذ أن تولّى منصبه وزيراً للزراعة، وكان تواصلي معه مبنياً على غاية تهم أمور الغير وكل الناس، زرته في مكتبه بعد توليه المنصب الجديد، وكلمتي الأولى حين التقيته في مكتبه كانت: كان الله في عونكم ثم مبارك لكم.

كلمة حق أقولها، خلال الأشهر التي مضت أرسلت له عدة طلبات لذوي الحاجة وكان تجاوبه وتعاونه رائعين، أكثر من المتوقع وفوق كل وصف، وقد شدّني ولفت نظري إحدى الإحالات التي أحالها إلى أحد الوزراء قائلاً "يرجى المعالجة وإعلامي بالنتيجة"، ولست في حاجة إلى تفسيرها فإنها تفسّر ذاتها بذاتها وتكفي الدلالة على الحرص والمتابعة والاهتمام.

كم يتمنى المرء وأنا أولهم أن يحذوا المسؤولون حذوه وأن تكون إحالاتهم حازمة وواضحة ومباشرة للوصول إلى غايتها، فقد سئم الناس الإحالات المحبطة والفضفاضة وعلى سبيل المثال "لإجراء اللازم" أو "حسب الأصول" أو "لبيان الرأي" أو "حسب التعليمات النافذة"....

أقدّر المسؤولية الملقاة على عاتق كل مسؤول ولكن لا بد أن يكون أهلاً لهذه المسؤولية، فإنها ليست إلا رداء ألبسه الله إياه لفترة وجيزة لتكون بعدها من نصيب إنسان آخر ليرتديه...

منذ عشرين عاماً زرت أحد المسؤولين وكان يشغل منصباً وزارياً، كان إنساناً بكل معنى الكلمة، ربطتني معه كل أواصر المحبة والمودة، يحمل من

البساطة وصفاء السريرة ما لا يحمله غيره، لا يتوانى عن تقديم ما يطلب منه من مساعدة للآخرين، قلت له في إحدى زيارتي هل لك أن تفسر لي كلمة المسؤول؟ وماذا تعني؟

أجابني: المسؤول هو من يتحمل أي مسؤولية بحكم موقعه أو منصبه، قلت له: المسؤول هو من سيكون مسؤولاً أمام الله غداً، وسيقول له عز وجل: لقد كان لك في يوم من الأيام منصب فيه مسؤولية، سخّرت له لتخدم الناس ولتحل مشاكلهم وستسأل عن كل كبيرة وصغيرة، وستحاسب على أي تقصير ارتكبت إزاء حاجات الآخرين، ثم تابعت قولي: كل من جلس وراء الطاولة هو مسؤول "أمثالك"، وكل من وقف أمام الطاولة هو سائل "أمثالي"، ضحك ملياً وقال: ليتك أخبرتني قبل أربع سنوات، لقد جعلتني أضع يدي على قلبي من شدّة خوفي..

كم من مسؤول تبوأ منصبه لسنين طويلة، وما جلسوا وراء طاولة مكتبهم بل إلى جانبها، والدليل على ذلك الدكتور راتب الشلاّح في غرفة التجارة..

لكل مسؤول أقول: لله عباد اختصّهم لقضاء حوائج الناس، حبّبهم في الخير وحبّب الخير فيهم، إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة، ومن قضى حاجة لأخيه لله فيها رضاء وله منها صلاح، فكأنه خدم الله ألف سنة دون أي معصية، وإذا كانت القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدّثون الله والناس في الحساب.

أعزائي المسؤولين...

خير الكلام ما قلّ ودل...

اللهم اشهد فإني بلّغت....

وأرجو أن تكون معاني مقالتي هي الهدف الدائم والغاية المرجوة قبل أن يفوت الأوان...

خير أمّة أخرجت للناس

من قال هذا المثل؟؟ وهل صدق بقوله؟

كنّا خير أمّة وأصبحنا أرذل أمّة

أمّة القتلة والسفلة

أمة بخيسة عن سائر الأجناس

أمة فاقدة للضمير والوجدان

أمة معدومة المشاعر والإحساس

أمة ممسوخة ومنسوخة

أمة من فصيلة القردة والنسناس

أمة النجاسة والنخاسة

أمة التنك والنخاس

أمة الغدر والكفر

أمة الخيانة والعهر

اسألوا الجوامع والمؤذن

اسألوا الكنائس والأجراس

أمة الفشل والخبل

أمة الجنون والهبل

اسألوا الفكر والعقل

اسألوا الدماغ والراس

أمة الفضلات والقمامة

أمة الحثالة والزبالة

اسألوا المناخ والهواء

اسألوا الزبال والكناس

أمة الهمجية والوحشية

أمة المخالب والأظافر

اسألوا الأنياب والأضراس

اسألوا من أبدع من الافتراس

أمة الخواء والضياع

أمة الثعالب والضباع

اسألوا الأرواح والأنفاس

اسألوا الوسواس الخناس

أمة التقاتل والتشرذم

أمة المِلل والعِلل

اسألوا فتح وحماس

اسألوا مشعل وعبّاس

شريعة الغاب

عنوان مقالتي تعني الكثير. والغاب تعني الغابة والغابة للحيوانات والوحوش حيث لا يوجد هناك أي شريعة وأقصد عدم وجود أي قانون فكل شيء مباح ومستباح. والفلتان هو الحكم وهو المسيطر. للأسف أصبحنا وحوشاً وشريعتنا هي شريعة الحيوان الذي أصبح في بعض الأحوال أكثر رأفة ورحمة من الإنسان. شريعتنا السمحاء دمرناها بأيدينا وذلك من خلال فسادنا الأخلاقي. فلم يعد هناك رادع يردعنا ولا قيم تلجمنا ولا أخلاق نتمسك بها. شريعتنا الجديدة نمارسها ونطبقها بكل فخر واعتزاز. شريعة جعلت منا وحوشاً نفترس بعضنا البعض ونقتل بعضنا البعض وسيستمر هذا حتى لا يبقى أي بعض على بعض. هنيئاً لكم يا آباءنا وأجدادنا وأنتم في دار الآخرة فقد كان لكم شريعة الله، شريعة التسامح والمحبة والأخلاق ورحلتم وأنتم متمسكون بهذه الشريعة، أما نحن فقد أصبح لنا شريعتنا الجديدة والتي ستكون شريعتنا الجديدة.

شريعة الغاب هي عنوانها. الوحشية أهم نصوصها. الفلتان هو أهم أهدافها وقد نجحنا بأن نجعل من حياتنا لا لون ولا طعم لها. هل حقاً نخاف الله؟؟ ومتى كانت الوحوش تخاف خالقها؟؟ كفانا كذباً ورياء فإن الله جلّ جلاله يعلم ما في أنفسنا وليس ما جرى ويجري إلا عقاباً على أعمالنا. متى كان الله مع السفلة والقتلة؟ متى كان الله مع ترك شريعته؟ ولأننا لم نرحم أنفسنا فإننا لا نستحق رحمته.

أصبحنا عراة الأجسام حفاة الأقدام. أصبحنا وحوشاً. تركنا شريعة الأجر والثواب ولتحيا شريعة الغاب...

يا سعدنا

يا سعدنا ويا لسعادتنا...

تمّ لنا ما لا نريد ووصلنا حدّ المزيد...

الأنفاس كُتمت والمشاعر جُرحت.

الوحدة مُزِّقت والأخلاق شُوِّهت.

الحقوق سُلبت والحريات صُودرت.

القلوب أُدميت والأفواه أُخرست.

الألسن قُطِّعت والأعيان فُقأت.

الأجساد اُغتصبت والأعراض اُنتهكت.

الآمال قُتلت والأحلام بُدِّدت.

الدماء سُفكت والرقاب نُحرت.

الأسلحة استعملت والمدن قُصفت.

الأحقاد تفجّرت والناس خُطفت.

الفوضى انتشرت والهمجية عُمِّمت.

المزارع أُحرقت والمصانع نُهبت.

الله أكبر بات شعار القتل والتدمير.

الله أكبر بات نداء الحرّية والتحرير.

الله ليس هو إلهنا. الله بريء من أعمالنا.

الله بريء من حقارتنا ومن سفاهاتنا.

الله غاضب علينا في حياتنا وحتى بعد مماتنا.

الله من رحمته شاء حرماننا...

فيا سعدنا ويا لسعادتنا...

هنيئاً لنا بإجرامنا ووحشيتنا...

هنيئاً لنا. تبرّأت منا إنسانيتنا...

حديقة الحيوان باتت مكانتنا...

المليونير والحظّ

روى لي صديقي الدكتور عبد الله رحلان وهو من رجـــال الأعمـــال المعروفين في جدّة القصة الواقعية التالية:

لي صديق من أثرياء مدينة جدّة سألته في إحدى المرات كيف جمع ثروته حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن من مكانة اجتماعية مرموقة واســـتطاع أن يجمع ثروة لا تقلّ عن مئات الملايين من الريالات، وروى لي قصته التالية:

نشأت وترعرعت وأنا يتيم الأب، وتطوّعت في الجيش السعودي حـــتى وصلت إلى رتبة عريف. كان راتبـــي لا يتجاوز الأربعة آلاف ريال شـــهرياً استطعت أن أعيل والدتي وثلاثة إخوة لي.

ومارست بعض الأعمال الخاصة بعد الدوام الرسمي، كنت أشتري سيارة (لوري) مستعملة وأقوم من خلال ورشة بإصلاحها وإعادة طلائها وكـــان ربحي الصافي ثلاثة آلاف ريال من السيارة الواحدة.

زرت أحد أصدقائي في محله في يوم من الأيام والذي يعمل في مجال بيع العقارات وغيرها، وقبل دخولي إلى داخل محله لمحت سيارة لـــوري متوقفـــة جانب محله وقد تمنيت أن أشتريها لأكسب من بعد إصلاحها بضـــع آلاف أخرى.

دخلت المحل وكان عنده ثلاثة أشخاص وهم في احتدام ونقـــاش عـــن صفقة ما، ووصل مبلغ المزايدة إلى رقم (عشرون) فوجدت نفسي قائلاً: أنـــا سأشتري بثلاثين. سكت الجميع وبارك لي أحدهم قائلاً: أعطنا رعبونـــاً الآن

وغداً ستسدِّد الباقي. أعطيته كامل المبلغ الدي كنت أحمله في جيبي (15 ألف ريال).

في اليوم التالي اتصل بي صديقي صاحب المحل العقاري قائلاً: تعالَ حالاً. حين وصولي فاجأني بقوله: خذ خمسة ملايين لقاء تنازلك عن صفقة يوم أمس، قطعة الأرض التي رست عليك.

وهنا بدت لي الصورة واضحة وجلية، اعتقدت بأن الصفقة تمّت على شراء السيارة اللوري التي أعجبتني ولكن الحقيقة بأن الصفقة كانت تدور عن قطعة أرض منظمة.

أجبته قائلاً: أقبل بالتنازل لقاء ثمانية ملايين عوضاً عن الخمسة. وتمّ الاتفاق على ذلك وأنا غير مصدّق ما جرى.

في اليوم التالي استلمت شيكاً مصرفياً بمبلغ ثمانية ملايين ريال واتجهت مباشرة إلى المصرف وفتحت حساباً وسجلت المبلغ بالحساب.

توجهت إلى عملي المعتاد وفوجئت بالتأنيب والتوبيخ من قبل الضابط على تأخري بالوصول إلى الدوام في الأيام الأخيرة، قدّمت له استقالتي له وهو غير مصدق.

وبدأت منذ ذلك الوقت وبالتعاون مع صديقي صاحب المحل العقاري بشراء للأراضي وبيعها حتى أصبحت خلال أعوام قليلة من كبار مالكي العقارات والأراضي.

ثم تابع قائلاً وهو يضحك: لقد أصبحت مليونيراً ولكن عن طريق الصدفة والحظ... ولكن يا صديقي أقول لك: الفضل يعود لوالدتي ودعائها، حيث كنت ابناً باراً لها ووفياً لإخوتي الصغار الذين كنت أصرف عليهم.

رحيل عزيز

أحببت أن أنوّه في هذا المقال عن عزيز على قلبـــي ألا وهو ابن شقيقي راتب، الشاب لؤي الذي افتقدته كثيراً والذي انتقل إلى رحمته تعالى في عـــام 2005 إثر نوبة قلبية عن عمر لم يناهز الـــ 42 عاماً.

كانت مكانته في قلبـــي كبيرة جداً. تعلّقت به منذ صغره وكان لي بمثابة الابن. كان رحمه الله لطيف المعشر، دمث الأخلاق، محباً لوالديه، عطوفاً على الغير. كان شعوره تجاهي شعور الابن لوالده، كثيراً من المرات كان يأتي إليّ طالباً نصيحة عن أمر يقلقه أو يزعجه.

ترك هذا الإنسان فراغاً كبيراً في قلبـــي، وحتى يومنا هذا فإنني أفتقـــده كثيراً. وتعبيراً عن حزني الذي شعرت به في رحيله وفقدانه فقد كتبـــت لـــه قصيدة شعر يمكن للقارئ أن يقرأها في ملحق الأشعار في كتابـــي هذا.

وأقول بيني وبين نفسي بعض الأحيان، بأن الإنسان حين يغـــادر هـــذه الدنيا الفانية فإن ذلك يعود إلى مشيئة الله وقدره بالدرجة الأولى، وقد يكون هذا الرحيل فيه كل الراحة والخلاص من معاناة طويلة نعيشها في هذه الحياة التي باتت حياة قلَّ فيها الأمل وكثر فيها الألم. حياة لم يعد فيها: إلا التخبط والضياع. أفتقد لك كثيراً أيها الحبيب لؤي أيها الشاب الذي رحلـــت عنـــا وتركت فراغاً كبيراً. لك الرحمة والتمنيات بأن تكون أينما كنـــت الآن، إلى جوار الله في جنات الخلد إنشاء الله.

العقوق

زارتني في مكتبـــي. زوجة كانت وأرملة أصبحت وهي في مقتبل العمر. روت لي قصتها وهي تبكي:

توفي زوجي وأنا في مقتبل العمر. ترك لي ابنة صغيرة كرّســـت حيـــاتي لأجلها. ترك لي قبل رحيله داراً أقطن بها ومبلغاً محترماً اســـتطعت أن أوفـــر لابنتي حياة كريمة والوصول إلى مرحلة دراسية نهائية بالحصول على شـــهادتها الجامعية.

وقعت في حب زميل لها في الجامعة. ما شعرت بالراحة تجاه هذا الزميل في يوم من الأيام. أصرّت على الزواج منه رغم اعتراضي، أذعنـــت للأمـــر وسكنوا معي في الدار. بعد ثلاثة أعوام مضت، وفي أحد الأيام عـــدت إلى داري بعد زيارة لإحدى صديقاتي وجدت حقائب ثيابـــي بانتظاري أمـــام باب الدار مع رسالة وفاء من ابنتي تقول فيها: لم يعد لكِ مكاناً معنـــا في الدار.

اكتشفت فداحة غلطتي التي ارتكبتها حين سجّلت الدار باسمها، بكيت وتوجّهت إلى دار الأمان، أعيش وأحيا مع نساء مثلي، تخلّى عنهم أبناؤهم.

أين نحن بما أوصانا الله به بقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّـــكَ أَلاَّ تَعْبُـــدُوا إِلاَّ إِيَّـــاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَـــا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَـــاحَ الـــذُّلِّ مِـــنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

أقول لابنتها ولكل ابن عاق: تسميات عديدة لدور رعاية كثيرة موجودة في بلدنا، دار الأمان ودار الحنان ودار الأمـــل ودار العجـــزة. دوراً عديـــدة أنشأناها بأيدينا وبكامل إرادتنا بسبب عقوقنا وظلمنا لأعزّ ناسنا، لوالدينا.

أتابع القول لهم: نسيتم بأن هناك داراً بانتظاركم، لتحاســبكم جــزاء لأفعالكم. إنها دار الآخرة التي هي في انتظار قدومكم.

سموّ الأمير

لك الطاعة والاحترام ولكن الإجلال والإكبار
أطال الله بعمرك يا سيد الأمر والقرار
يا مالك الثروة. مجوهرات وأموال بالقنطار
نفط وغاز بالألوف المؤلفة من الآبار

يا سموّ الأمير:
يا صاحب الثوب الأبيض والغترة والعقال
يا صاحب الحق يا سيد النساء والرجال
يا قاهر الصعاب. السهل والمستحيل والمحال
يا مالك الكنوز. جاه وعز ومجد ومال
يا أمير الإمارة. شرقاً وغرباً جنوباً وشمال

أمير العنفوان أنت يا رمز البطولة والتحدي
أمير الرجولة أنت يا رمز الفحولة والتصدي
ما من مستجير. أنت الزير يا سمو الأمير
يا معطراً بالعطر ومطيباً بالطيب يا لابس الحرير

بقدوم الليل تأتي الشهوة ويغيب الوجدان والضمير
الفضل كل الفضل للمقويات وشتى أنواع العقاقير
لا خوف من حالة الطقس. يوم حرّ أو زمهرير
تُفك الزنانير وتتساقط العباءات والتنانير.

سكناك هو القصر يا صاحب القرار والأمر
قصر الملذات. شفاه وأرداف. نهد وخصر
وما لذّ وطاب من طعام وشتى أنواع الخمر.

يوم جديد قد أتى وقد تمّ له كل التحضير
الجميع في خدمتك. مرافقة وخدم ونواطير
الجميع ينفّذ الأوامر. كبير وصغير وحتى الوزير
بأسلوبك المعهود. زجر ونهر والتحقير
الجميع وبلسان واحد سمعاً وطاعة سمو الأمير

تستقبل الناس جماعات. تطبع على كتفك القبلات
محطات التلفزة تحت الأمر يا نجم كل الشاشات

تبتسم مهلّلاً. تستقبل مرحّباً. تسلّم مصافحاً.
تتكرّم موزعاً. تخاطب مبدعاً. تغادر مودعاً.

يأتي الليل بغياب النهار يا محب للإعادة والتكرار

حريم سموك مللن الانتظار وبشوق لبدء الإعصار

ينتظرن قدومك أيها البطل ليكتب لك الانتصار

يا سموّ الأمير

ليس كل من لبس الحرير هو أمير

ليس كل من افترش الأرض هو فقير

كم من جسدٍ تخفّى بالحرير هو حقير

كم من فقير بدون سرير هو قدير

كم من أمير ليس بالاحترام هو جدير

يا خوفي

يا خوفي على ما خبّته أيدينا وقساوة قلوبنا.
يا خوفي على فداحة ذنوبنا وبشاعة أدائنا
يا خوفي على بلدٍ وعلى مَن أراد تدميره. بشعائر
الحرية تمّ اغتياله وبسلاح الإجرام تمّ قتله. على
يد لصوص الانتفاع تمّت سرقته
على يد الجهلة جرى استغلاله
على يد الإصلاح تمّ تدميره
على يد مَن هربوا وولّوا تُرك لقدره
هنيئاً لكم يا أجدادنا وآباؤنا. تتفرّجون
علينا وأنتم في قبوركم، نسمع صراخكم وهتافكم:
ما أنتم بوطنكم فاعلون؟؟ أجرمتم بحقه أيها
المجرمون. تفجّرون... تقتلون... تدمّرون...
في خيراته التي تركنا لكم تعبثون
سيأتي يوم الحساب وإلى جانبنا سترقدون
قسماً بالله ستعاقبون وستحاسبون.

إنكم إلى ربكم سترجعون

ونذكّركم بقوله تعالى. نقول للذين ظلموا

﴿... ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

حيث لا ينفع مال ولا بنون.

شكراً لك أيها الخوف فأنت الآن السيد المطلق

نعيش معك أيها الخوف على الدوام

نعيش معك في اليقظة وفي المنام

يا خوفي: صرخة حتى من أفواه الأصنام.

لماذا

لماذا يحدث لنا ما يحدث؟؟

هل ذلك سببه غباؤنا وقلّة حيلتنا؟؟

هل ذلك سببه فلتاننا وانعدام قيمنا؟؟

هل ذلك سببه خطأ في جميع حساباتنا؟؟

هل ذلك سببه سوءاً في نواحي تصرفاتنا؟

هل ذلك سببه جهلاً في عد توازننا؟؟

هل ذلك سببه جشعاً في ما أعطانا خالقنا؟

هل ذلك سببه كفراً في ديننا وإيماننا؟؟

هل ذلك سببه عقوقاً لأجدادنا وآبائنا؟

هل ذلك سببه تشرذماً في سلوكنا وتربيتنا؟

هل ذلك سببه رعونة في عقولنا وأفكارنا؟

هل ذلك سببه عمياً في بصرنا وبصيرتنا؟؟

هل ذلك سببه حقداً في ذاتنا وصدورنا؟؟

هل ذلك سببه فلتاناً في تكاثرنا وتناسلنا؟

هل ذلك سببه قرفاً في محبتنا لبعضنا؟؟

السبب هو عدم مخافة ربنا. كفانا شعارات
وكلام فارغ فلن نغيِّر مسلكنا وسنبقى على
ما نحن فيه إلى أن يأتي يوم حسابنا.
ارجعوا إلى مخافة الله، قد يرحمنا ويسامحنا.
كونوا معه في جميع تصرفاتنا وأوقاتنا وسيكون
معنا في أزماتنا.
حتى الأزمات صارت نوعاً من الإدمان
كانت أزماتنا في الكحول والمخدرات والدخان
باتت أزماتنا في تدمير وطن وقتل إنسان.

وزارة الأخلاق

الأخ محمد الخطيب مدير التحرير وفي صفحته الأولى والمعتادة، يركّز في مقالاته على المواضيع الاقتصادية. لقد تعمّدت أن أتحاشى أن لا أغوص في مقالاتي في المواضيع السياسية لأنني ما أحببتها يوماً ما ولا تعاطيتها. حتى المواضيع الاقتصادية حاولت قدر المستطاع تحاشيها مع أنني مولود شرعي من أسرة تجارية أباً عن جد. وعن سابق إصرار وترصّد وكامل التعمّد كانت كتاباتي في إطار يركّز على الأمور الاجتماعية والأخلاقية فإن الآفة الكبرى التي نعاني منها هي آفة أخلاقية. شبعنا صراخاً ونحن نطالب بمكافحة الفساد المستشري في مجتمعنا. وفسادنا الاقتصادي ينبع من فسادنا الأخلاقي وحتى الاجتماعي والذي أوصلنا إلى أسفل الدرك من التخبط والجهل والانحطاط والضياع. نكافح تعاطي المخدرات مع أنها تقتل مَن يدمن عليها ونكره شرب الكحول مع أنها تضرّ في صحّة مَن يعاقرها. أما التركيز على موضوع الأخلاق فإنه آخر همّنا وأيضاً اهتمامنا مع أن في غيابها وعدم وجودها هو أشدّ فتكاً من أية آفة أخرى. أتمنّى أن يكون في مجتمعنا وزارة للأخلاق وأن يكون لكل فردٍ منا وزيراً في هذه الوزارة. كرسي فارغ أهملناه بعدم شغره بإرادتنا وبسبب إهمالنا وتقاعسنا. لنكن وزراء في هذه الوزارة نمارس مهامنا فيها ونفرض عليها سلطاتنا وصلاحياتنا على أسرة كل واحد منا وعائلة كل فرد من أفرادنا. فالعائلة هي المؤسسة الفعلية لمجتمع صالح وغير فاسد، ومن خلال ممارستنا الصحيحة نكون قد نجحنا بلقب الوزير الناجح.

أن نكون وزراء ناجحون في أسرنا وعائلاتنا خير من أن نكـــون وزراء فاشلون في دوائرنا ووزاراتنا.

نعم لربّ أسرة وزير فعلي ناجح وصالح ولا لوزير حكومي وهمي فاشل وطالح.

زمن العهر

مقالاً صحفياً قرأته مؤخراً بأن أحد رجال الأعمال في دولة عربية دفع 15 ألف دولار لقضاء ليلة حمراء مع فتاة في شبكة دعارة.

وأردف الكاتب قائلاً: إن المدعوة السيئة الذكر ستيفي لـيفني وزيرة خارجية ورئيسة وزراء في إسرائيل قد مارست الجنس مع شخصيات عربية في فتوى من حاخام إسرائيلي وذلك لحضّهم بالحصول على معلومات.

وبات الأمر واضحاً وضوح الشمس بأن هذه الشخصيات هي سياسية بامتياز. والمحبط في هذا الموضوع بأنهم من الساسة ورجال السياسة الذين هم زعماء في فن الخطابة وهم القادة الذين ينادون بالمقاومة والتحرير ولكن وللأسف بالكلام والتنظير. إن كان النصر الذي انتظرناه طويلاً سيكون على يدهم فإننا نرفض هذا النصر على يد هؤلاء القادة.

لا نريدهم أن يكونوا زعماء ما داموا هم عنواناً ورمزاً للفجور والبغاء. باعوا القضية الفلسطينية في سبيل ممارسة جنسية في حضن عاهرة إسرائيلية.

هم شر البليّة.

هنيئاً لنا بكم أيها القادة وأيها الزعماء

هنيئاً للوطن أيها الرجال الأقوياء

على أيديكم سيتم النصر والتحرير

ولكن عن طريق العهر والجنس والاستمناء

إقرار واعتراف

نحن العرب الموقعين أدناه وبكامل إرادتنا
وتمام عقولنا نقرّ ونعترف بما اقترفناه
بحقّ المدعو "الحب" ونقدّم له الاعتذار
ونطلب منه السماح للأسباب التالية:
حبّنا للمشاعر تمّ تقتيله وحبّنا للأمان تمّ فقدانه
حبّنا للوطن تمّ تخوينه وحبّنا للآخر تمّ تدميره
حبّنا للكراهية تمّ تسويقه وحبّنا للحب تمّ اغتياله
حبّنا للخطف تمّ ترويجه وحبّنا للقتل تمّ تشريعه
حبّنا للألفة تمّ تفريقه وحبّنا للفرقة تمّ إنجازه
حبّنا للإجرام تمّ تشجيعه وحبّنا للعقاب تمّ تخفيفه
حبّنا للدين تمّ تكفيره وحبّنا للهداية تمّ تضليله
حبّنا للرياء تمّ تبريره وحبّنا للنفاق تمّ تطويره
حبّنا للالتزام تمّ تحريره وحبّنا للفوضى تمّ تفعيله
حبّنا للحقيقة تمّ تزييفه وحبّنا للنجاح تمّ تفشيله
حبّنا للغذاء تمّ تسميمه وحبّنا للماء تمّ تعكيره

حبّنا للناس تمّ تفتيته وحبّنا للخوف تمّ تعميمه

حبّنا للاحترام تمّ تحقيره وحبّنا للتحقير تمّ تفضيله

حبّنا للحلال تمّ تحريمه وحبّنا للحرام تمّ تحليله

حبّنا لله تمّ نسيانه وحبّنا للتقوى تمّ تدنيسه

حبّنا للبقاء تمّ تكفينه وحبّنا للحياة تمّ تأبينه

حبّنا للروح تمّ إزهاقه وحبّنا للإنسان تمّ تشييعه

وعليه نوقّع.

المقرّ بما فيه: نحن العرب

شاهد أول: الله جلّ جلاله

شاهد ثاني: الضمير الميت

إهداء ولكن!!

إهداء إلى اليوم الذي لا يبقى في بلادنا
العربية وسائل إعلام تؤثر في الناس.

إهداء إلى اليوم الذي لا يبقى فيه جوازات
سفر مختلفة الألوان.

إهداء إلى اليوم الذي لا يبقى فيه هويات
وتأشيرات. تأشيرة للحج وتأشيرة للعمرة
وتأشيرة للزيارة وتأشيرة للعمل وتأشيرة
للعودة وبلا عودة.

إهداء إلى اليوم الذي لا يبقى فيه عداوات و
انقسامات.

إهداء إلى اليوم الذي لا يبقى فيه خيانات ومؤامرات
إهداء إلى اليوم الذي لن تغلق فيه السفارات.

إهداء صعب المنال لأنه من المحال...

اتقنّا محاربة بعضنا البعض وما يجري هو الشاهد العيان.

هل نحن خير أمة أخرجت للناس؟؟

أمة فقدت مشاعر الحب والإحساس

إهداء ولكن...

إهداء إلى اليوم الذي لن يأتي

إهداء وهدية وهداية وكلّهم من المحال

وجواباً على هذا السؤال:

لأننا نأكل الخبز بالأرطال...

لأننا ننام الليل مهما طال...

لأننا نشرب الماء بالأسطال...

لأننا على بعضنا البعض أبطال...

وما نحن عليه: بطّال... بطّال... بطّال...

نحن العرب

نحن العرب خير من أتقن علم الإتقان

أتقنّا فن التشاطر وفن العطف والتآمر

أتقنّا فن التحارب وفن الغدر والتناحر

أتقنّا فن الكذب وفن الدسّ والتخابر

أتقنّا فن الرياء قولاً وفعلاً وبالإيحاء

أتقنّا فن السرقة في جنح الظلام ووضح السماء

أتقنّا فن الدجل على أهل العزّ والكبرياء

أتقنّا فن الاغتصاب لفتاة بكر وعجوز شمطاء

أتقنّا فن الظلم على أهل الإباء والشرفاء

أتقنّا فن التوحش على أهل الفقر والضعفاء

أتقنّا فن التهديد على أهل الورع والأتقياء

أتقنّا فن الترهيب على أهل العفّة والبسطاء

هل نحن أهل المروءة؟؟؟

نحن أصحاب الخبائث. نحن أسياد الخبثاء

نحن أصحاب الفوضى ونحن زعماء الغوغاء

نحن أصحاب الكلمات ونحن معانيها الجوفاء

نحن أصحاب الشهوة ونحن عنوان البغاء

نحن أصحاب السموم ونحن الحية الرقطاء

نحن العرب علينا الله أنــزل الغضب

نحن العرب رمز العار ورمز العطب

نحن العرب تبّت يدنا مع أبــي لهب

نحن وغاندي

قرأت سبعة أقوال مأثورة والتي تدمِّر الإنسان. هذا ما قاله غاندي:

(1) السياسة بلا مبادئ

(2) المتعة بلا ضمير

(3) الثروة بلا عمل

(4) المعرفة بلا قيم

(5) التجارة بلا أخلاق

(6) العلم بلا إنسانية

(7) العبادة بلا تضحية

عزيزي غاندي. نحن من دمّر الإنسان. طبّقنا أقوالك بحذافيرها وإليك البرهان.

السياسة (1) نمارس السياسة بكامل الخسة والخساسة. تآمراً وتناحراً. تقاتلاً وتخابراً. علناً وسرًّا.

المتعة (2) متعتنا هي أولويتنا للوصول إلى غايتنا وتحقيق أهدافنا. قتلنا الضمير في سبيل التنانير.

الثروة (3) أصحاب الثروات هم الأسياد. يسرقون العباد. أتقنوا الفساد. وهم بلا عمل. قتلوا الأمل حتى الأزل.

المعرفة (4) معرفتنا بلا قيم. المعرفة لها ثمن. درجات النجاح تباع بالعلن. آه منك يا زمن.

التجارة (5) تجارتنا بلا أخلاق. كذب ونفاق. تلاعب وتكاذب. نهب وتهريب. سمسرة وتخريب. إنكار واحتكار. فجّار نحن ولسنا تجّار.

العلم (6) علمنا بلا إنسانية. أطباؤنا يمارسون التجارة. المرضات سجّانات دون رحمة في النظارة. المشافي أصبحت فنادق. والمريض هو الكاذب وصاحب المشفى هو الصادق.

العبادة (7) عبادتنا عباءتنا. الشريعة لا تُطبق. التضحية غائبة والعبادة سائبة. صلاة بلا خشوع. زكاة بالكذب والدموع. صيام زائف وإفطار مسموع.

أيها العزيز غاندي:

نطلب منك السماح. نحن أمة المُباح

نحن خير من طبّق الأقوال...

نحن خير من دمّر الأجيال...

نحن خير مثال للأعور الدجّال...

السياسة والاقتصاد

ضدّان لم ولن يلتقيان...

السياسة:

الأسلوب	= تحايل ولفّ ودوران
الغاية	= الوصول إلى المآرب
اللغة	= رياء وكذب ودجل
الصلاحية	= غير قابلة للانتهاء
الهدف	= غير محدد وعشوائي
الصفة	= أنانية مطلقة ومنفعة ذاتية
الأداة	= جميع الأدوات المتوفرة
الشعار	= أنا أولاً ومن بعدي الطوفان
النتيجة	= وخيمة ومحبطة ومقرفة

الاقتصاد:

الأسلوب	=	شريف ونظيف
الغاية	=	الارتقاء نحو الأفضل
اللغة	=	الصدق والأمانة
الصلاحية	=	استلام وتسلّم
الهدف	=	راحة ضمير ونظافة وجدان
الصفة	=	فعل الخير وحب الغير
الأداة	=	جد وتعب وتضحية
النتيجة	=	نمو وازدهار وتقدم

تعليق:

تحاشي التعاطي بالأولى. الاقتراب قدر المستطاع من الثانية.

الأولى: تحمل معاني غياب المبادئ ووفرة الذنوب

الثانية: تحمل معاني تواجد الحسنات وغياب العيوب

الحب المفقود

روى لي صديقي قصته التالية:

بعد عشرين عاماً على زواجي وجدت بريقاً جديداً من الحب مع امرأة غير زوجتي. صارحت زوجتي بذلك وبرغبتي أن أدعوها إلى العشاء. وافقت زوجتي على الفور لأن هذه المرأة كانت أمي. مشاكل الحياة أبعدتني عنها وكنت لا أزورها إلا قليلاً وندمت على ذلك لك الندم. كانت تنتظرني وقد ارتدت ثوباً رائعاً، الثوب الذي اشتراه لها والدي قبل وفاته رحمه الله. جلسنا في المطعم حتى منتصف الليل وتحدثنا كثيراً. كنت أرى بريق السعادة والشوق والحنان يشعّ من عينيها.

بعد عدّة أيام توفيت فجأة بنوبة قلبية. بكيت كثيراً وذرفت دموع الحزن والندم. بعد مرور ثلاثة أيام على رحيلها، استلمت عبر البريد رسالة من المطعم الذي تناولنا فيه العشاء. كانت ملاحظة كتبتها بخط يدها تقول: "لقد دفعت الفاتورة عنك وعن زوجتك، شكراً على دعوتك. لك حبي. كان عشاء الوداع يا حبيبي".

ما رويته ليست إلا فرصة أمنحها إلى مَن هم أبويه على قيد الحياة لأقول لهم:

امنحوهم حقهم. حق الحب والوفاء

قدّموا لهم: كل العطف والولاء

تابع قائلاً: إنها قصة حبي لأمّي:

حب اكتشفته متأخراً وفقدته مؤخراً.

حب افتقدته جعلني نادماً ومتحسّراً.

سيّدي الفلتان

يا سيد الساحة أنت في بلدنا أيها الفلتان

يا رمز الإباحة أنت حتى درجة الغثيان

مزّقت المجتمع. عصابات وقتلة وزعران

حطّمت الوطن. أرض وإنسان وبنيان

مرّة عن طريق القاعدة وأخرى على يد الإخوان

وتارة عن طريق جبهة النصرة وتارة طالبان

نعيش عصور الجاهلية وعبادة الأصنام والأوثان

نمارس السلب والقتل. اقتحام وهجوم وعدوان

نقطّع الأوصال ونذبح الوريد وحتى الشريان

نفعل أفعالنا في أي مكان وفي كل الأزمان

وبقي لنا تطبيق وأد البنات وعمل الختان

بارك لنا يا سيدي الفلتان:

قطعنا الرؤوس وشوّهنا الأبدان

كفّرنا في ديننا وكفرنا بسائر الأديان

كتابنا المنــــزل أنت. لقد مزقنا القرآن

أنت الخليفة. مَن هم أبو بكر وعلي وعمر وعثمان

نحن لسنا من كائنات البشر والإنسان

نحن لسنا من أي فصيل من فصائل الحيوان

نحن لسنا أي نوع من أنواع الجرذ والفئران

نحن حثالة. نحن العفن ونحن الأنتان.

الخير

كلمة نردِّدها ولكن فقدنا معانيها.

نردِّدها صباح بكلمة صباح الخير

نردِّدها مساء بكلمة مساء الخير

نردِّدها ليلاً بكلمة تصبح على خير.

نردِّدها للتمنِّي بكلمة فيه الخير.

فقدنا حلاوة لفظها وروعة معانيها

أضعنا عمق فحواها وعظمة أمانيها.

أين الخير الذي كان مصدرِ هناء وسعادة؟

أين الخير الذي كان لله حبّ وعبادَة؟

أين الخير الذي كان للغير أطيب التمنيات؟

أين الخير الذي كان للفقير عطاء وهبات؟

أين الخير الذي كان للنهار أحلى التوقعات؟

أين الخير الذي كان لليل خير الأمسيات؟

أين الخير الذي كان للغمّ أجمل الابتسامات؟

أين الخير الذي كان للسان أرقّ الكلمات؟

أين الخير الذي كان للعين أحرّ العبرات؟

أين الخير الذي كان للقب أقوى الخلجات؟

أين الخير الذي كان لليد كل العطاءات؟

أين الخير الذي كان للقدم خير الخطوات؟

لك الرحمة ولنا العزاء برحيلكَ

الشرّ دخل بنا وحلّ مكانكَ

الغوطة الحبيبة

ماذا حلّ بكِ أيتها الحبيبة؟

يا معشوقة دمشق العاصمة أنتِ.

أهالي دمشق أحبَوكِ وما بخلوا عليك...

أنت الأرض المعطاء وثروة العطاء...

أنت الجنة أنت الغوطة الخضراء...

أنتِ حامية عاصمتنا وأنتِ سلة خيراتنا.

أنتِ نبع مياهنا وأنتِ سلة فاكهتنا.

يوم الجمعة كان للكِ مخصصاً لزيارتك

ينهلون من عذب مياهك. يحبون نسيم هوائكِ

بالكتل الإسمنتية مسحوا اخضرارك.

تمّ اغتصاب نقاؤك وطهارتكِ...

قرروا تقطيع أوصالكِ وتسميم هواءكِ

استباحوا قراكِ ودمّروا بلداتكِ

أيتها الحبيبة أنتِ. أيتها الشهيدة

تمّ تدميرك على يد الأشرار وعن سابق ترصد وإصرار.

إنهم أغراب. ليسوا من ناسكِ ولا أهلكِ

إنهم أهل الخراب وليسوا إخوة التراب

لن يضم رفاهم ترابكِ. سيثأر الله لكِ.

لأهل دمشق جميل الغراء وللغوطة الرحمة والدعاء

ما كانت يوماً للأشقياء. كانت لدمشق الفيحاء

سيبقى اسمها غوطة دمشق وليس غوطة الغرباء

ساعة الغفلة

روى لي والدي رحمه الله القصة التالية:

لم أسمع من جدّك رحمه الله في يوم من الأيام كلمة رضاء تفوّه بها. وما قام بطبع قبلة حب على وجنتي، كان يختزن حبه في قلبه. وقبل رحيله بأيام تجرّأت وطلبت منه الدعاء لي بالرضاء. فاجأني بدعاء لم أتوقّعه قائلاً: "الله يجيرك من ساعة الغفلة".

ومن خلال ما ذكرت أقول وأعقّب:

في الماضي كان لكل أمر في الحياة ساعة. ساعة للكيف وساعة للراحة وساعة للعمل وساعة للقيلولة وساعة الغفلة والتي تعني بحدث غير سارّ وليس في الحسبان.

وبالنظر إلى واقعنا الأليم الذي نعيشه ونمرّ فيه فإنني أقول لوالدي رحمه الله: بارك لنا فقد أصبح لدينا ساعات جديدة نعيشها وطرأت على مسار حياتنا. أصبح هناك ساعة للقتل وساعة للذبح وساعة للنهب وساعة للخطف، إضافة على ساعات الألم والندم.

عقارب ساعاتنا باتت مؤشراً على معاناتنا، دقائقها وثوانيها تحمل المآسي والويلات.

وما من أحد إلا وينتظر ساعة الفرج.

نسي الناس بأن ما ينتظرنا ساعتان هامتان ألا وهما ساعة الحساب وساعة العقاب.

حينئذٍ ساعة واحدة تتوقف عقاربها ألا وهي ساعة الحياة، وربما ستكون ساعة تضع الحدّ والنهاية لكـــل مآســينا وآلامنـــا. مآســي طالــت وآلام استُفحلت...

بدر الدين الشلاح

هذه القصيدة كتبتها بعد رحيل الغالي وكان ذلك في عام 1999:

هو الإنسان حبيب القلب نور العين — الساكن في القلب إلى يـــوم الـــدين

هو الإنسان مهجة الروح والقلـــب — عليــــه رحمـــــة الله، رب العــــالمين

هو الإنسان الوفي والحنون المعطـــاء — جمع روائح العطور أولهـــا اليـــاسمين

هــــو الإنســـــان المـــؤمن دائمـــاً — بنى المساجد والمآذن وبكـــل يقـــين

هــــو الإنســـــان حيـــاة في كلمـــة — حياة بعد غيابه هي العذاب والأنـــين

هو الإنسان الذي غاب عن الـــدنيا — ولم يـــزل حيًّـــا في قلـــب المحـــبين

يا حبيب القلب أنت يا أبـــا راتـــب — وسليم ومحمد وغســـــان والمحتـــاجين

في جنّة الخلد مع الحبيبـــة إســـعاف — مع الشهداء والأبـــرار والصـــالحين

دمشق في 1999/5/1

شفيقنا

هذه القصيدة كتبتها في عام 1970 وكانت أول قصيدة أكتبها
وهي إلى عمي شقيق والدي المرحوم شفيق الشلاح رحمه الله
والذي كان بمثابة الوالد لي:

بحـــق الســـــماء بمــــاذا أناديـــــك ... يا حبيبـــــي يا ســـــيدي يــــا شــــفيق

وجــــه بشــــوش وقلــــب حنـــون ... في لساني عجز وبقلبـــــي حب عميق

ضائع أنــــا لا أعـــرف مــــا أقـــول ... بحق الكعبة دلّـــني علــــى الطريـــق

محبتك في قلبــــــي والله لا توصـــف ... محبّـــة النجـــاة إلى قلـــب الغريـــق

رتبتك عندنا ليست بمقـــدم وعقيـــد ... وعماد ولـــواء بـــل رتبـــة فريـــق

أدمــــه لنــــا وللجميـــع يــــا رب ... أدمـــه لموفـــق وطـــارق ورفيـــق

دمشق في 1970/1/1

لؤي الشلاح

كتبتها وفاءً لابن شقيقي الدكتور راتب، لؤي
الذي خطفته يد المنون في نوبة قلبية عام 2005 والذي كان بمثابة الابن لي.
ترعرع مع أولادي وكان نِعم الشاب الخلوق المحب والوفي.
تغمّده الله في واسع رحمته:

لؤي يا أنت أيها الحـب الحبيـب ... أيها الأخ والصديق والرفيق والنـديم
لؤي يا أنـت أيهـا البـار الـوفي ... لأم حنـون وأب صـابر وحلـيم
لؤي يا أنت أيهـا الطـاهر النقـي ... ابن أخٍ لغسـان ومحمـد وسـليم
لؤي يا أنـت أيهـا الأب المحـب ... لقرّة عينك، الأعزاء سـلمى وتمـيم
لؤي يا أنت أيها الساكن المعشوق لنا ... يا رمزاً للأجيال، الجديـد والقـديم
لؤي يا أنت عنواناً عنواناً للطهـارة ... والعفة، يا رمز الوفاء والحب العميم
لـؤي يـا أنـت أيهـا المغـروس ... في قلب المحـب وفي قلـب الغـريم
لؤي يا أنت لما عجلـت الرحيـل؟ ... رحيلاً مفاجئـاً، خاطفـاً وألـيم؟
لؤي يا أنت، هنيئـاً لـك رفيقـاً ... للبدر الكبير ولإسـعاف في جنّـات

خالد الفيصل - أمير القلوب

كتبت هذه القصيدة قبل سفري إلى المملكة العربية السعودية وأهديتها
إلى صاحبها في لقاء لي معه عشية احتفال تخريج طلاب كلية الإدارة والأعمال
في جدة بدعوة من الصديق الدكتور عبد الله صادق دحلان
رئيس مجلس الأمناء وعضو مجلس الشورى السعودي:

يا ابن الفيصـــل رحـــم الله أبـــاك ... أبــا الإنســـانية مـــن آل ســـعودِ
يـــــا خالـــــداً والخلـــــود لله ... رب العـــزّة خـــالق الوجـــودِ
يا أمير الخصـــال الحميـــدة جمعـــاء ... منـــها الوفـــاء والـــبر بـــالوعودِ
يا أمـــير الشـــعر وأمـــير الشـــعراء ... مشاعرك فاقت الوصـــف والحـــدودِ
يا أمـــير الكلمـــات، ويـــا دفئهـــا ... أشعلت الأكف وحركـــت الزنـــودِ
يا أمير لعسير كنت أنـــت أميرهـــا ... منحتها جهدك ونيا لها مـــن جهـــودِ
يا أمـــيراً لمنطقـــة جعلتـــها جنّـــة ... الله على الأرض، الواحـــد المحمـــودِ
يا أمير مكة، المكرمة مـــن خالقيهـــا ... حطّمت الأصنام وكسّرت القيـــودِ
يا أمير المحيّا، محيّـــا الفيصـــل أنـــت ... دون إثبات أو إحضـــار أو شـــهودِ
يا أمير الإعجاب والتعجب والانبهار ... بؤبؤ العين أنت، وحُمـــرة الخـــدودِ
يا أمير الحكـــم والشـــعر والرســـم ... عدلاً وشـــفافية وأحلـــى القـــدودِ
يا أمير الحلم يـــا مجموعـــة إنســـان ... يا أمير الوجدان والعـــدم والوجـــودِ

دمشق 2007/2/22

عبد الله صادق دحلان

عبد الله صادق دحلان، من كبار رجال الأعمال، معرفتي به تعود إلى عشرين عاماً أخاً وصديقاً وحبيباً. ويشغل حالياً العديد من المناصب في السعودية منها رئيس مجلس الأمناء في كلية إدارة الأعمال في جدة وعضو مجلس الشورى السعودي.

ما كتبت شعراً إلاّ لمن أحببت   أقولها صدقاً وبالفم المليان

أنت يا عبد الله يا ابن صادق   رحم الله صادقاً أصدق إنسان

أنت يا عبد الله يا ابن أبيك   أنت أنت يا ابن الدحلان

أنت للوفاء رمزاً، للنجاح عبرة   أنت النادر في هذا الزمان

غرفة التجارة كانت هي البداية   بصماتك فيها خير شاهد عيان

جعلت منها منارة تسطع نوراً   وأصبحت للشموخ هي العنوان

ثم للأعمال أصبحت خيرة رجالها   رجل أعمال يشار إليه بالبنان

ثم أديباً وكاتباً خير متذوق   ممارساً لها في التبيين والبيان

ثم كلية إدارة الأعمال هي كانت   مصدر إلهامك ومنبعاً للحنان

طلابها وطالباتها أبناء لك   شاكرون لك دون أي نكران

كنت لهم الأب والملهم والنصير   يدينون لك بالجميل وكل العرفان

أنت يا أبا صادق وبكل الصدق   للوفاء خير دليل والبر برهان

2007/7/22

عبد الله الغرير

معرفتي به تعود إلى ثلاثين عاماً مضت وهو من كبار رجال الأعمال في دولة الإمارات حالياً، ويعمل في مجال المقالات وتمثيل كبرى الشركات ورئيس مجلس إدارة بنك المشرق الإماراتي.

من صلب شهبندر التجـــار أتيـــت ... رجل الاقتصاد بدر الدين الشـــلاح

من رجل الحق والعدل منه تعلّمـــت ... بـــأن الحيـــاة نضـــال وكفـــاح

من خلاله وبرضائه جـــداً أيقنـــت ... بأن رضاء الوالدين ســـر النجـــاح

من بصماته التي تركها قد تعرّفـــت ... على رجال أعمال وهمّـــة وفـــلاح

هي عائلة الغرير، عبـــد الله كبيرهـــا ... أبا محمد عنوان الصدق والمصـــداقية

هي عائلة الغرير، عبد الله شـــيخها ... أبا محمـــد مـــثلاً أعلـــى للمثاليـــة

هي عائلـــة الغريـــر والله حاميهـــا ... من شـــر الحاســـد هـــي المحميـــة

هي عائلة الغرير خالق الخلق مباركها ... أعطاها من نعمه وخزائنـــه المخفيـــة

هي عائلة الغرير حامي الحمى يحميها ... لله ولعبـــــاده دائمـــــاً الوفيـــــة

هي محبة جمعت عـــائلتين سمّاهـــا الله ... الأولى الغريـــر والثانيـــة الشـــلاحيّة

محمد الشلاح

كتابات شعرية

الحذاء وأنتَ

مهداة إلى جورج بوش. كتبت هذه القصيدة بعد الحادثة الشهيرة، رمي حذاء مواطن عربي بوجه رئيس أميركي.

الحذاء وأنت وليس أنت والحذاء ... فالأول أشرف وأطهر من الثاني
فالأول نلت منه كل الجزاء ... على ما اقترفت يداك أيها الجاني
والأول لقّنك درساً لن تنساه ... في الحضيض جعلك وخلال ثواني
حذاء المنتظر كان جزاء ما تستحق ... أيها المذموم من القاصي والداني
يا رئيس الإجرام والتدمير والقتل ... يا رمز القبح والذل والغدر والهوانِ
يا أسوأ من السوء بكل ما تعنيه ... كلمة السوء، فأنت أسوأ إنسانِ
مزبلة التاريخ مسبقاً حجزت لك ... أيها الكافر بكل الأعراف وجميع
أقل ما يقال عنك ويقال لك ... يا أروع صفة أنت صفة للشيطان

دمشق 2010/10/2

شمس وقمر وثلاث نجمات

مهداة هذه القصيدة للنسيب والأخ السيد الدكتور همام قوتلي وعائلته.

شمس وقمر وثلاث نجمات   مجموعة باقة ورد رائعة

شمس دافئة جداً أشعّتها   دفئاً لذيذاً للأسرة الوادعة

شمس سمّاها الله بالهمام   هي الشمس المبصرة والسامعة

قمر الزمان، ماء الورد هي ميّ   الأم والحنان والعطف هي الحنان

عزّة في النفس، عطاء في القلب   حجاب على الراس عنوان إيمان

تفانياً في العمل وبكل الإخلاص   شفاء يطلبه من وأياً كان

نجمات ثلاث في عمر الورود .   مثّلن الفل والنرجس والياسمين

جمال وعلم وأخلاق وذوق   وأصالة في التربية وتمسّك بالدين

النجمة الأولى، نجمة البشر هي   الحبيبة والغالية العزيزة لين

نجمة أضاءت سماء محبّيها   أحببناها كابنة لنا، ولله شاكرين

النجمة الثانية، سارة السيّارة   أشهد بذلك مقسماً باليمين

بأنها مثال الرقة والحياء هي   ويكفي بأنها ولأمّها هي معين

النجمة الثالثة ليّا الصبية   عنوان البراءة والطهارة مجتمعين

اجعليني

مهداة إلى زوجتي الحبيبة.

اجعلـــــيني أن أدخـــــل دنيـــــاكِ فأنـــــت إيمـــــاني وحـــــتى يقـــــيني
اجعلـــــيني أن أشـــــاطر عالمـــــكِ وإليـــــه بيـــــدكِ أقـــــول خـــــذيني
اجعلـــيني أن أكـــون فيـــه المـــدلّل ولـــيس مثـــل بـــاقي المعجـــبين
اجعلـــيني أن أكـــون المـــتمم لـــكِ أطلب ذلك بكل تأكيـــدي ويقـــيني
اجعليني أن أقـــدر علـــى الوقـــوف فقد فقدت التوازن بكـــل المـــوازين
اجعلـــيني أن أقـــدر علـــى التميّـــز ولا أريد البقاء بين الشك والـــيقين
اجعليني أن أكـــون أكثـــر تقربـــاً منـــك ولا تحـــاولي أن تبعـــديني
اجعليني أن أكـــون لـــك مصـــدر راحة، لما الخوف يا قـــرّة عيـــوني؟
اجعليني أن أكـــون المشـــجع لـــكِ فلـــن أخـــذلكِ، فهـــل تخـــذليني؟
اجعليني أن أكـــون أكثـــر راحـــة وأن أنـــام أخـــيراً مـــلء جفـــوني
اجعليني أن نصـــل المســـاواة معـــاً فأنا أريـــدك بقـــدر مـــا تريـــديني
اجعلـــــيني أن أشـــــعر بأنـــــك تصدّقين مشاعري وبهـــا تشـــعرينِ
اجعليني أن أؤمـــن بـــأني صـــادق دون الحاجة لأي حلفـــان بـــاليمينِ

دمشق 2001/2/2

الألم

يـــؤلمني أن أكـــون كالأرجوحـــة بالأمل بين حـــين وآخـــر أتنقـــل

يـــــؤلمني أن أكـــــون ذاكـــــرة ساعة تغيب وساعة أخـــرى تتأمـــل

يـــؤلمني أن أكـــون بالنســـبة لـــكِ جثة هامـــدة كـــل يـــومٍ تتحلّـــل

يؤلمني أن أكـــون فاقـــد الـــذاكرة فقـــد فـــاتني نهايـــة كـــانون الأول

يؤلمني أن تكون كل الأشهر سواسية مع أن مشـــاعري ثابتـــة لا تتبـــدّل

يؤلمني أن أكـــون ســـبباً لخوفـــكِ ولكن لأجلك وللكِ فقط ســـأتذلّل

يـــــؤلمني أن لا تصـــــدّقي يومـــــاً بأنني ملاذك وبأنه المـــلاذ الأجمـــل

دمشق 2002/3/7

علّمتني

علّمتني الحياة وما زالــت تعلّمـــني ويوماً بعد اليوم أكتشــف المزيــدِ

علّمتني جـــداً كـــم هـــي تغيّـــرت وبتغيّرها أعــرف الآن مـــا أريـــدِ

علّمتني بما طرأ عليهـــا مـــن تبـــدّل وأبدت أســفها ونــدمها الشــديدِ

علّمـــتني وأعلمـــتني بأنهـــا أصـــيلة هبة من الخالق هي، الغفـــار المجيـــدِ

علّمتني وهتفـــت قائلـــة ومحـــذّرة: ما تغيّرت أنـــا منـــذ الأزل البعيـــدِ

هتفت: تغيّرت الطبـــاع والنفـــوس وإليـــك أقـــدّم البرهـــان الأكيـــدِ

أنـــا هبـــة مـــن الله جـــلّ جلالـــه أرادني نعمة داعية للحب والتوحيـــدِ

أنـــا الضـــحيّة الـــتي تشـــوّهت تشوّه جـــاء علـــى أيـــدي العبيـــدِ

عبـــاد الله الـــذين بـــاتوا وحوشـــاً ينهشـــون بعضـــهم بالأهـــازيج

جعلوا مني غابـــة وحـــوش وقتلـــة وكفروا بوصـــايا الخـــالق الحميـــدِ

وبتُّ أنا الحيـــاة الحلـــوة الرائعـــة مترعاً للفاسد والحاقـــد والشـــريدِ

دمشق 2004/4/22

حيرة

أحتـــار جـــداً ضـــائعاً في حـــيرتي ... فالنهاية واضـــحة وجـــداً محتومـــة

أحتـــار وحـــيرتي باتـــت قـــاتلتي ... حيرتي الضائعة، حـــيرتي المهزومـــة

حـــيرتي الـــتي جـــرّدتني وعـــرّتني ... قائلة: كن مُعدماً فـــإنني معدومـــة

العادم معروف ومـــن ذوي القـــربى ... أنا حيرتـــك المشـــوّهة والمصـــدومة

حيرتـــك الـــتي تعـــذّبك وتؤلمـــك ... أين لي من أجوبة لأسئلة مبهومـــة؟

حيرتك أنا ضحية مثلـــك وأكثـــر ... عاجزة معـــك في حيـــاة مشـــؤومة

حيرتك أنا، تـــوأمين أنـــا وأنـــت ... قتيلين، في حضـــن أمنـــا المكلومـــة

دمشق 2005/6/24

ما نحن عليه

تبدّلت المفاهيم والعقـــول والقـــيم
أهذا مـــا يســـمّى فعـــلاً انقلابـــا

إحبـــاطٍ وهـــمٌّ ســـادوا النفـــوس
مغلوبة على أمرها النـــاس الغلابـــا

سفرٍ وغربةٍ ورحيل عـــن الـــوطن
هواجس في النفوس سفراً واغترابـــا

غربـــــةٍ، وســـــفر دون عـــــودة
تذكرة ســـفر ذهابـــاً دون الإيابـــا

أحـــلام تـــبنى، أفكـــار تطـــرح
واقع بعيد والسراب يبقـــى ســـرابا

غلاء بالمعيشة، أبواب رزق ســـدّت
يزداد الألم، والعذاب يشـــتدّ عـــذابا

وطأة الهموم مطرقة علـــى الـــرأس
وجع في القلب، جرح يزداد التـــهابا

أجراس تقـــرع، أصـــوات تنـــادي
ليس مـــن أحـــد ليفـــتح الأبوابـــا

ليس هناك من مجيـــب ومـــن يـــردّ
بالمرصاد تقـــف الرمـــاح والحرابـــا

سيطر الـــوهن وضـــعفت العقـــول
والخراب غـــولاً عنـــوان للخرابـــا

العدم بات الأنيس وحـــتى النـــدم
مشاعر الحزن كئيبة بل أكثر اكتئابـــا

الثـــروة باتـــت حلمـــاً ومحرّمـــة
والهمّ إلى لقمة العيش وحتى الشـــرابا

دمشق في 2003/5/20

الواقع

تمـــرّ بنـــا الأيـــام وتطـــوي بنـــا
ألمـــح ذلـــك وأراه بـــأمّ عيـــوني

تبدّلت الأحوال وتغيّـــرت المبـــادئ
والكرة ضائعة بين الشمال والـــيمينِ

بكاؤنا بات محرّمـــاً حـــتى العلـــن
ومحرّماً علينـــا التنهيـــدة والأنـــينِ

مساوئ الأخـــلاق عشـــقت فينـــا
والهـــمّ الوحيـــد، جمـــع الملايـــينِ

أوراق نقديـــة خســـالة الحيـــاة
تدفع بالشـــمال وتقـــبض بـــاليمينِ

نصـــب واحتيـــال طعـــن بـــالظهر
وحب الظهور، هو الحارس الأمـــينِ

نكـــران وجحـــود كـــره ونميمـــة
أتقنّا ذلك كل الإتقان غير نـــادمينِ

أنكرنا الأصـــول وحـــتى القواعـــد
للخيانـــة فقـــط بتنـــا مهلّلـــينِ

مارسنا فن اللعـــب علـــى الحبـــال
وأتقنـــا أخـــيراً لعـــب الكشـــاتبينِ

هي اللعبة السائدة وهـــي الرائجـــة
على كل المستويات وفي كل الميادينِ

سنبقى على ما نحـــن عليـــه حتمـــاً
حتى يوم الآخـــرة وليـــوم الـــدينِ

دمشق في 2003/12/27

منذ متى

منـــذ مـــتى أصـــبحت المشـــاعر ممنوعة البـــوح، عـــدوّة الضـــمائر؟

منـــذ مـــتى أصـــبحت الحريّـــة في التعـــبير أكـــبر الكبـــائر؟

منـــذ مـــتى بـــات الحـــق بـــاطلاً والباغي ما دارت عليـــه الـــدوائر؟

منذ متى أصـــبحت الهمجيـــة هـــي الضيف وصاحبة الـــدار والزائـــر؟

منذ متى أصبحت الســـاحة فقـــط للحقول والظـــالم وحـــتى الجـــائر؟

منذ مـــتى أصـــبح التعـــبير ممنوعـــاً حتى في الزريبـــة وعلـــى المنـــابر؟

دمشق في 2004/10/20

خاتمكِ

مهداة إلى زوجتي الحبيبة.

أغار من بنصـرك الـذي يحضـنه   يلفّـه لفًّـا، يعانقـه عناقـا

خـاتم زواجٍ كمـا يقولـون   أقـول أنـا: خـاتم الاشـتياقا

خـاتم الألفـة وخـاتم المحبـة   اعتنق دين المحـب كـل الاعتناقـا

خـاتم ينطـق بلسـان حاملـه   لا أقوى على الفراق وأكره الفراقـا

خاتم وضـعته يومـاً في بنصـركِ   ويـزداد شـوقي كـل الاشـتياقا

أتوق للكِ كل يـوم أكثـر وأكثـر   يحترق قلبـي بحبّك أحلى احتراقـا

دمشق في 2005/11/25

تطوّر

طفولـــة ونمْـــوٍ، مراحـــل عديـــدة ... مشاعر، خلجـات هـــي الفريـــدة

دخول مدرســـة، يليهـــا الجامعـــة ... مع كـــدٍّ وتعـــبٍ وهمّـــة أكيـــدة

خطوبـــة، زواج، شـــريكة عمـــر ... عنوانـــاً لحيـــاة تبـــدو جديـــدة

حياة مثـــل طـــرود البريـــد حقـــاً ... رسائل حزينـــة ورســـائل ســـعيدة

هـــرمٍ، تقـــدم ســـنٍّ وشـــيخوخة ... وحالـــة شـــلل ليســـت بالبعيـــدة

بكـــاء، وداع، مـــوت ورحيـــل ... لعالم آخر، رغـــم الإرادة العنيـــدة

حيـــاة تافهـــة، قصاصـــات ورق ... سلّة المهملات هي نهايـــة الجريـــدة

علاقـــة الإنســـان وإيمانـــه بخالقـــه ... هي الأزليـــة والباقيـــة والوطيـــدة

دمشق في 2005/11/17

الإنصاف

كانت كلمة تعني العدل والمســـاواة — هي في حالـــة غيبوبـــة واعتكـــافِ

باتت غائبة ومعدومة كـــل العـــدم — همّها الغياب والرحيل والانصـــرافِ

باتت ثقيلة جـــداً علـــى اللســـان — وفي الصـــدور وعلـــى الأكتـــافِ

باتت غريبـــة في قـــاموس حياتنـــا — هي عنوانـــاً للكـــذب والالتفـــافِ

باتـــت رمـــزاً مهشـــماً، مطعونـــاً — هي الضحية وتحت رحمة الســـيّافِ

باتـــــت أداة منســـــيّة لجريمـــــة — ارتُكبت، حراً بريئاً هـــو الســـفاحِ

باتت الشاهدة علـــى قـــبر القتيـــل — والقاتل في نعيم وفـــرح وانشـــراحِ

باتت شهادة معلّقة علـــى الحـــائط — عديمـــة النفـــع وفاقـــدة الصـــلاحِ

دمشق في 2005/12/20

رحلة

تلك هي الحيـــاة، رحلـــة قصـــيرة نـــأتي ونـــذهب رغمـــاً عنـــا

همـــوم تصـــدمنا وآلام تعتصـــرنا إن رفضـــــــنا أو إن قبلنـــــــــا

متاهات تلفّنا وضياع بـــات غـــولاً وحشاً كاسراً بـــات جـــزءاً منـــا

لا مجال للتكهّن أو حـــتى التســـاؤل لمـــــاذا وكيـــــف وحـــــتى لأنّ

دمشق 2006/7/17

كُلّ مَن

كل مَـــن كـــان جـــاهلاً لا يعلـــم ... عـــن ســـرّ الحيـــاة فهـــو المغفّـــلُ

كل مَـــن كـــان طامعـــاً لا يُقنـــع ... يـــركض وراء المزيـــد والأكمـــلُ

كل مَن كانت الـــدنيا بـــين يديـــه ... فهـــو للغبـــي، المثـــال والأمثـــلُ

كل مَن كـــان شـــاكراً وحامـــداً ... فحياته هي الرائعة وهـــي الأجمـــلُ

أربعة أضداد لكـــل مـــا ذكـــرت ... فالأربعة علـــى طريقتـــهم يتمثّـــلُ

دمشق 2005/7/26

إلى أين

وماذا بعد وإلى أين؟ ضيوف نحن في هذه الدار

وماذا بعد وإلى أين؟ لا محال بقدوم ذلك الإعصار

وماذا بعد وإلى أين؟ نتمسك بالدنيا بكل إصرار

وماذا بعد وإلى أين؟ يمرّ اليوم بالليل وبالنهار

وماذا بعد وإلى أين؟ ويوماً ما سينتهي المشوار

وماذا بعد وإلى أين؟ مرحلة الصغر في طريق الاندثار

وماذا بعد وإلى أين؟ مرحلة تليها، مرحلة الكبار

وماذا بعد وإلى أين؟ إلى دار الآخرة يسبقها الاحتضار

وماذا بعد وإلى أين؟ أملي بالجنّة، تجري من تحتها الأنهار

دمشق 2003/5/25

فقط أنتِ

قصيدة مهداة إلى زوجتي الحبيبة.

فقط أنتِ، يا محور كـــل اهتمـــامي — منى، بالاسم أناديك يا عطر الرياحينِ

فقط أنتِ، يا ابنة الحبّال يـــا أنـــتِ — يا قوّتي، ويا منبـــع إيمـــاني ويقـــيني

فقط أنتِ، يا رفيقة العمر والـــدربِ — يا ثروة الحياة، الثروة ليست بالملايينِ

فقط أنتِ أيتها الكاملـــة والمكمّلـــة — يا تاجاً يتمنّاه كل الملوك والسلاطينِ

فقط أنتِ، يا توأم قلبـــي وروحـــي — يا كبدي، وبين الأضلع أنتِ الرئتينِ

فقط أنـــتِ، عربـــون محبـــة الله لي — أنا القنوع، وهذا جلّ مـــا يكفـــيني

فقط أنتِ اسمي وهـــويتي وعنـــواني — يا فخر الأماكن يا أروح العنـــاوينِ

فقط أنتِ، عنوانكِ واضح لمن يسأل — فسكناك في قلبـــي، وفيه تســـكنينِ

دمشق 2002/2/22

الخيار

نحيا وفي الحياة حق الاختيار ... ما يحلو لنا في الليل والنهار

نحيا وفي الحياة ما لذّ وطاب ... أشهى الطعام وأغلى الكافيار

نحيا وفي الحياة لا للتخاذل ... نحن أول مَن صنع الانتصار

نحيا وفي الحياة دماء تسيل ... شكلت جداول وأنهاراً وبحار

نحيا وفي الحياة شعاراً واحداً ... اللهمَّ نفسي، فأنا خير الأخيار

نحيا وفي الحياة مشاعر قُتلت ... قتلناها بأيدينا بكل تصميم وإصرار

نحيا وفي الحياة مفاهيم تبدّلت ... فالغازية أصبحت هي صاحبة الدار

نحيا وفي الحياة نسياً وتناسياً ... بأن هناك جنّة، وهنالك نار

2003/4/14

وماذا بعد

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن بالوسط بين نقطتين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن نقف على الأخمصين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن نعلم علم اليقينين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن متأرجحين بين عالمين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن نتناسى ونضرب بالكفين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن سنترك ما يسمى بالعالمين...

وماذا بعد وإلى أين؟ ونحن أدمنّا معاناة الأمرّين...

وماذا بعد وإلى أين؟ لا خلاف على ذلك بين اثنين...

وماذا بعد وإلى أين؟ والمحصّلة كفناً واحداً لا كفنين...

2005/7/27

هناك

قيـــل بـــأن هنـــاك وهنـــاك وهنـــاك هـــي دار البقـــاءِ
قيل بـــأن هنـــاك هـــو الأفضـــل وهنـــاك لا مكـــان للشـــقاءِ
قيل بأن هنـــاك مـــوطن الســـكينة وهنـــاك لا يُســـمح أبـــداً للبكـــاءِ
قيل بـــأن هنـــاك نهايـــة المطـــاف وهناك الترحيـــب كلـــه للأتقيـــاءِ
قيل بأن هنـــاك مكمـــن العصـــارة وهنـــاك الســـموّ حـــتى الارتقـــاءِ
قيل بأن هنـــاك لا مكـــان للمـــادة وهناك للحقيقة والحـــق والأحقـــاءِ
قيل بأن هنـــاك الجفـــون مغمضـــة وهنـــاك قلـــوب تلـــهث بالـــدعاءِ
قيل بـــأن هنـــاك رحلـــة جديـــدة وهناك لا مكـــان أبـــداً للأشـــقياءِ
ومـــا قيـــل قالـــه خـــالق الكـــون أبصـــم عليـــه وبـــالأعين العميـــاءِ

2007/2/25

قل لي

قـــــل لي بـــــــالله عليــــــك ... طلـــــب موجّـــه فقـــط إليـــك

قـــــل لي وأعطـــــــي الجـــــواب ... لســـــؤال هـــــو بـــــين يـــديك

قـــــل لي وتحاشـــــى التملمـــــــل ... فأنـــــت الأدرى مـــــن حواليـــــك

قل لي بأنك على علمٍ بـــأن الـــدنيا ... يومـــــاً لـــــك ويومـــــاً عليـــــك

دمشق 2007/7/27

ممارسة

مارســـنا الحيـــاة ونحـــن أبطـــال نـــزهو ونفخر، نحن فخر الرجـــالِ

مارســـنا الحيـــاة طـــولاً وعرضـــاً لا مكان في قاموسنا لكلمة مُحـــالِ

مارســـنا الحيـــاة تمسّـــكاً وتشـــبثاً وأتقنا جداً التســـلّق علـــى الحبـــالِ

مارســـنا الحيـــاة هبوطـــاً وتســـلقاً في سفوح السهول وعلى قمم الجبالِ

مارســـنا الحيـــاة عـــدّة وعديـــداً ومقدرة كـــبيرة علـــى الاحتمـــالِ

مارسنا الحيـــاة وفقـــدنا البصـــيرة همّنا الوحيـــد فقـــط جمـــع المـــالِ

مارســـنا الحيـــاة وأتقنّـــا التمثيـــل ونحن للزيف والتملّق خـــير مثـــالِ

دمشق 2008/5/1

مشوار

مشـــوار، نمشـــيه ونحـــن مجـــبرين حيـــاة نعيشـــها ونحـــن مـــرغمينْ

مشـــوار، يطـــول وقـــد يقصـــر نعلـــم بـــذلك علـــم الـــيقينْ

مشـــوار، نهايتـــه آتيـــة لا محـــال نتناســـى ونحـــن أول المنســـيينْ

مشوار، ومحطـــة الوصـــول جليّـــة ولأجراس الوصول نحـــن قـــارعينْ

مشوار، والعودة هـــي إلى الأصـــل للتراب وقـــد خُلقنـــا مـــن طـــينْ

مشـــــوار/رجاءنـــا مغفـــــرة الله نرجوه أن يكون لنا مـــن الشـــافعينْ

مشوار ينتهي والكل باتوا سواســـية حتى العبيـــد والملـــوك والســـلاطينْ

2008/6/16

نبيل شلاّح

نبيل شلاّح ابن عمّي المرحوم أنور الشلاح.

ربّ أخٍ لك لم تلده أمك

مثل ينطبق عليه. نبيل دوحة الوفاء والإخلاص والتفاني.

نِعم الأخ أنـــت يـــا ابـــن عمّـــي وحيداً لوالديك يـــا ابـــن الســـليل

اسمٍ على مســـمّى قـــولاً وفعـــلاً شـــهم، مخلـــص، خلـــوق ونبيـــل

ملتـــــزم، متفــــاني أبيّ وعظـــــيم والغـــــير غــــدّار، لئـــيم وذليـــل

أنت خير شـــقيق حـــقٍ لإخوتـــك وما أفسحت مجالاً للقـــال والقيـــل

خير أنـــيس وجلـــيس يـــا أنـــتَ أُنسك دواء وتريـــاق لكـــلّ عليـــل

أنت الناصح والمحبّ لكـــل النـــاس ولكل مـــن ضـــلّ ســـواء الســـبيل

منافقون ومخادعون ومـــا أكثـــرهم يقتلون ويتقاتلون كهابيـــل وقابيـــل

أنـــت حبيـــب الله وكـــل النـــاس محروس أنـــت بظـــلّ الله الظليـــل

أنت الأخر ونِعـــم الأخ يـــا أخـــي أنت الخلّ الـــوفي يـــا أوفى خليـــل

يحفظـــك الله ويرعـــــاك دومـــــاً أنت الدواء والترياق لكـــلّ عليـــل

دمشق 2005/4/12

رضاء النفس

سـألت مَـن أعـزّ النـاس إن كنـت راضـياً عـن نفسـي

أجبتها وبكـل عبـق الإحسـاس راضٍ أنـا عـن يـومي وأمسـي

شاكراً لله نعمـه وبكـلّ حمـاس رافعـاً صـوتي متحاشـياً همسـي

عائلة محبّة حنونـة همـا الأسـاس لمساهمها تعبير عن روعـة اللمـسِ

صحة وعافية هما خطـوط التمـاس وتطلّع للغـد دون عـدّ عكسـي

دمشق 2011/1/24

هياكل عظمية

هياكل عظمية مكسوّة لحماً وعظماً   مآلها الأخير عتمة لن تـــرى النـــور

هياكل تموج وتموج يمنـــة ويســـرة   هدفها الافتراس مثل بـــاقي النمـــور

هياكل كستها الحياة مـــن الخـــارج   والخـــارج يبقـــى مجـــرد قشـــور

هياكـــل باتـــت ربيبـــة الوحـــوش   منها الضباع والأفـــاعي والنمـــور

هياكـــل خلعـــت رداء الإنســـانية   وبوقاحة كشفت عن ما هو مستور

هياكـــل تغـــدو وتـــأتي وتحلّـــق   ترفرف بالأعالي كأسراب الطيـــور

هياكل ما ارتضت أن تكون طـــيراً   بل بواشق وبعضها فضّل الصـــقور

هياكل ما اقتنعت أن تكون صـــقراً   بـــل ارتقـــت إلى مرتبـــة النســـور

هياكل تنهش بعضها البعض بارتضاء   وبدّلوا الأشواك عوضاً عن الزهـــور

هياكل أباحت واستباحت وسمحت   والخلط بات بين الآمـــر والمـــأمور

هياكل لبست وتلبّســـت وتنكّـــرتْ   وتشبّثت بالوجود ودوام الحضـــور

هياكل هلّلت وعبثـــت وتكبّـــرتْ   ونسيت وتناســـت أهـــم الأمـــور

هياكل غفلت ونامـــت وتغافلـــت   بأن مرقدها هـــو أضـــيق القبـــور

دمشق 2010/2/22

تحية وتقدير

هذه القصيدة مهداة إلى الصديق العزيز محمد بدر الدين الشلاح "أبو زكي"...
تقديراً له على كتابه "جنى الرضا".

يـــا شـــام الغـــر يـــا أم المبـــادي | طـــبعتي عالمجـــد خـــتم الســـياده
أمـــير الشـــعر بالكلمـــة الســـخيّه | حيَّـــا رسمـــك بفخـــر وســـعاده
بـــنغم فـــيروز عـــم تبقـــى فتيّـــه | نِعْـــمَ أهلـــك ونِعْـــمَ الغـــوادي
برجـــال متوّجـــة بهمـــة عليّـــه | وأيادي تعاهـــدت تشـــبك أيـــادي
"أبو راتب" يا بـــو الكـــف النديّـــه | حكمة ومعرفـــة وعـــزم وجـــلاده
كنـــت للشـــام حلّتـــها البهيّـــه | فكر خـــلاّق مـــا بـــدو شـــهاده
إرادة تحـــرّك الـــنفس الأبيّـــه | ونخـــوة شـــب طـــاعتلو الريـــاده
وتفـــاني بالعمـــل بِطيـــب نيّـــه | ولهفـــة للـــوطن حـــتى العبـــاده
عرفنـــا عنّـــك الـــروح التقيّـــه | وحبّك للأهـــل مـــا هـــو عـــادي
تركت رجـــال عملـــوا بالوصـــيّه | الرضا مـــزروع والمعـــروف بـــادي
يا "ابن البـــدر" يـــا قـــدوة جليّـــه | كتابـــك منـــهج دروس وإفـــاده
ســـجيّه طيّبـــة بتخلـــف ســـجيّه | ومآثر شـــامخة مـــن طبـــع هـــادي
لهفـــة مخلصـــة ونبـــل وحميّـــه | وأمانـــة وتضـــحية وطاعـــة ووداِدِ

الأصـــــالة والصــــدق والأشـــبهيّه　　صـــفات مورّثـــة لابـــن الجـــوادِ

كنـــت عمـــلاق بالســـيرة الوفيّـــه　　جنيـــت محبـــة الـــبيّ المفـــادي

بـــــالتعبير أفكـــــارك نقيّـــــه　　وبحك الحرف مـــا بتقبـــل هـــواده

كتابـــك مفخـــرة جيـــل وقضـــيّه　　دوا للـــــنفس والجـــوهر عيـــاده

بفَيْضـــو بيقتـــدي شـــب وصـــبيّه　　مواعظ.. تربيـــة.. تقـــوى.. إراده

ولحـــق تـــرجم المكنـــون فيـــيّ　　صـــغتْ محـــبتي لعنقـــك قـــلاده

وإلك يا "بـــو زكـــي" مـــني تحيّـــه　　و"سهير وماهر وباســـم وبســـمه"

تحيـــة نبعهـــا بـــيتي وفـــؤادي

أبو علي أنيس الحلبي

رئيس بلدية أشرفية صحنايا سابقاً

الخاتمة

والجولة الأخيرة

الجولة الأخيرة هي خاتمة هذا الكتاب.

يتعايش الإنسان في هذه الحياة في مضامير محدودة ومحـددّة: المـال والأعمال والأقوال. نلمح الإنسان وهو يسير متصنعاً الابتسامة وقلبه يحمل همًّا. حتى لو كثرت أمواله وازداد نجاحه وسكن أروع الأماكن وركب أحدث السيارات سيبقى هناك ما يقضّ مضجعه ويجعل النوم يهرب على الدوام. لن تستطيع كنوز الدنيا أن تفرحه، هذه هي حال الإنسان. علينا أن نؤمن بأن كل الأمور مقدّرة لنا، إنه القدر وإنه المكتوب. لا يوجد شيء يدوم في هذه الحياة سواء كان ذلك حبًّا أو مالاً أو صحّة، سوف ينتهي كل شيء عاجلاً أم آجلاً. وللأسف الشديد فقد بات الإنسان معلّقاً بالمال. بات كل شيء قابل للبيع والشراء حتى عواطفنا. لهؤلاء الجشعون أقول بأن الدنيا أغرتهم فباعوا أنفسهم وأخلاقهم، وبأنهم أتوا مع المال وسيرحلون معه إن رحل.

والخاتمة هي حديث شريف لطالما ردّده والدي رحمه الله، حديث خاطب الله جلّ جلاله وعبده قائلاً: يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وقسّمت لك رزقك فبأكثر منه لا تتعب، فإن رضيت بما قسمته لك أرحت بدنك وفؤادك وأصبحت عندي محموداً، وإن لم ترضى بما قسمته لك فبعزّتي وجلالي

لأسلّطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش ولا يصيبك منها إلا مـــا كتبته لك وتصبح عندي مذموماً.

عزيزي القارئ:

أرجو أن يكون استمتاعك بقراءة ما كتبت يعادل جهدي الذي بذلت. أردت أن أضع عزيزي القارئ بين يديك كتاباً فيه التنوع الحقيقي والواقعي بجولاته الثلاثة. وسعادته هي بأنها جولات واقعية وليست سياسة مأســـاوية لأن سبب مآسينا هي السياسة. والأحداث التي نشهدها هي دليل ســـاطع على الحرمان الذي جميعنا نعاني منه، الحرمان من حق مشروع لكل فردٍ منا، حق السعادة والراحة حق التفاؤل والابتسام، حـــق الشـــعور بالطمأنينـــة والأمان.

م

ع كل محبتي وأطيب تمنياتي.

محمد الشلاّح

بيروت 2013/4/4

الفهرس

الجولة الأولى

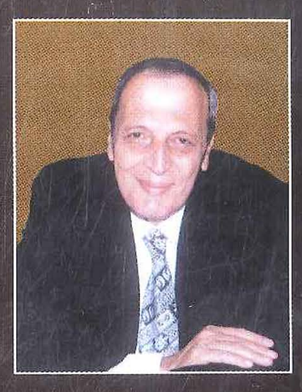
سيرة ذاتية، مرحلة دراسية، حياة عملية

الجولة الثانية

خواطر من قصص واقعية آراء في مقالات شخصية

الجولة الثالثة

كتابات شعرية





محمد الشلاّح

ما من أحد أتى إلى هذه الحياة إلاّ وصرخته سبقت لحظة قدومه.

رجل أعمال يطلق صرخة صادقة ومدوّية شيّقة.

صرخة من خلال سيرة ذاتية وحياة عملية موجزة.

صرخة من خلال قصص وأحداث واقعية مؤثّرة.

صرخة من خلال آراء ومقالات شخصية جريئة.

صرخة من خلال أبيات شعرية معبّرة شفافة.

نعيش واقعاً يسوده الصراخ. نصرخ لبعضنا البعض. نصرخ على بعضنا البعض. نصرخ مع بعضنا البعض. ويبقى صراخاً دائماً وعقيماً فليس من أحد يسمع، ولكن ما زال هناك من يقرأ.

الناشر








ISBN 978-614-01-0761-8
9 786140 107618

تصميم الغلاف: علي القهوجي